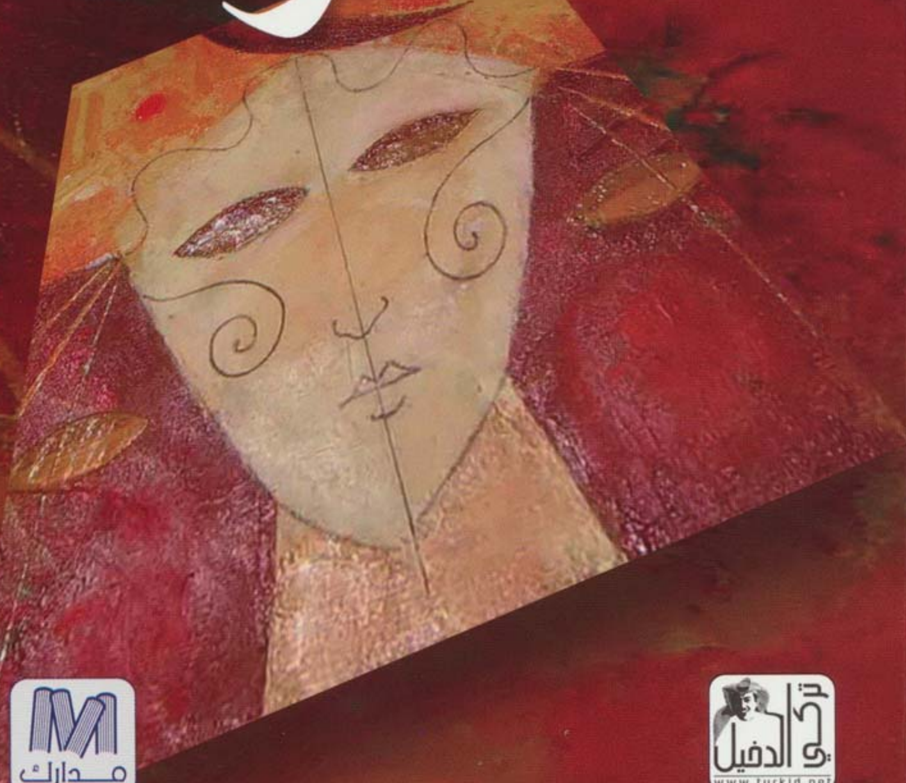
الطبعة الثالثة

تركي الدخيل

الدنيا... امرأة!



مدارك

تركي الدخيل
www.turkid.net

الدنيا... امرأة!

الكتاب: **الدنيا... امرأة!**

المؤلف: **تركي الدخيل**

التصنيف: **دين ومجتمع**

الناشر: **مدارك إبداع، نشر، ترجمة وتعريب**

الطبعة الأولى: فبراير (شباط) 2011
الطبعة الثانية: مارس (آذار) 2011
الطبعة الثالثة: مايو (أيار) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-25-2

المؤلف: www.turkid.net

www.turkid.net

الكتاب متوفر على الإنترنت: مكتبة نيل وفرات. www.nwf.com

Madarek مدارك
Creating, Publishing, Translating & Arabizing إبداع، نشر، ترجمة وتعريب

Tel.: 00961 1 282075 - Fax: 00961 1 282074
Gharios Center, Forn Elchebbak, Beirut - Lebanon
www.mdrek.com - read@mdrek.com
P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon
سنتر غاريوس، الطابق الرابع، فرن الشباك، بيروت - لبنان

تركي الدخيل

www.turkid.net

الدنيا... امرأة!

الإهداء

إليها... أماً، وزوجة،

وأختاً، وابنة...

يا طعم الدنيا الحلو!

المحتويات

الفصل الأول

«من فتاة مغربية إلى السعوديات»...

وقصص أخرى!

الفصل الثاني

شخصيات من وحي المرأة

الفصل الثالث

عملها... قيادتها... اختلاطها!

الفصل الرابع

تطليق الراشدات وتزويج القاصرات

مقدمة

برزت المرأة بوصفها قضية محورية في المشهد العربي منذ فترة طويلة، واحتدمت قضيتها واضحةً منذ أن وقفت هدى شعراوي، إحدى الناشطات المصريات في مجالي الاستقلال الوطني المصري والنشاط النسوي منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، لتحرق حجابها أمام الملأ.

حوّل مشهد هدى شعراوي المرأة إلى قضية مصيرية يتجاذبها أنصار التيارات المختلفة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وكان لرمزية الحجاب الدينية المبرر الكافي، لتصبح المرأة قضية القضايا لدى التيارات الإسلامية كافة.

باتت المرأة، إثر ذلك، قضية القضايا التي يجب تناولها على أنها مستهدفة من قبل المخططات الغربية والشرقية

الداخلية، وأنصارها في الداخل. وساهم في تعزيز هذه النظرة الخاضعة للعقلية التآمرية، حالةُ الضعف والهوان التي مرّ، ولا يزال يمر بها العالم العربي. فالضعف هو أفضل بيئة حاضنة لنظريات المؤامرة، ومن المريح لنفسية الضعيف أن يقنع نفسه بوجود مخطط محكم يهدف لجعله ضعيفاً، ومنعه من النهوض، والاستيقاظ من سبات الغفلة.

وقد خصّ الكاتب الإسلامي الأستاذ محمد قطب، في كتابه ذائع الصيت «واقعنا المعاصر» قضيةَ المرأة بفصل كامل، وكان الكتاب رائجاً، يتم تداوله وأفكاره في الخليج بخاصة والعالم العربي بعامة، كأحد المستندات الفكرية للصحوة الإسلامية التي نشطت في الثمانينات تحديداً، حتى أسهم في تشكيل رؤية شريحة واسعةٍ من المجتمعات التي وقعت فريسة لهيمنة أنماطٍ تقليدية في التفكير وفهم القضايا. لكن الكثير من خطط الاستهداف التي ظنّها الناس موجودة، لم يكن لها وجود إلا في أذهان من لديه وسوسة مؤامراتية.

عاشت المرأة في السعودية والخليج تحولاتٍ عديدة، باعتبارها جزءًا من المجتمع الذي انتقل في ظرف زمني قياسي، من حالة البساطة البدوية، عبر النفط والثروة، إلى حياة المدنية بتعقيداتها، وحداثتها. وأسهمت هذه التحولات

الاجتماعية في تشكيل حالة من الالتباس في موضوع المرأة التي أخضعها تيار الصحوة لتكون عنصر المفاصلة والمفارقة بينه وبين بقية التيارات، على أساس فرز يحدد الحق، ويربطه برؤيته، والباطل ويربطه برؤية غيره.

لم يكن عمل المرأة أمراً مبتدعاً، فلقد وثق التاريخ السعودي وجوداً لنساء كنّ يقمن بأعمالٍ تجارية كبيرة على مستوى المدن، ولعل المؤرخ السعودي الشيخ محمد بن ناصر العبودي كان من الذين تطرقوا إلى هذا الجانب في كتبه حول المجتمع وتاريخ العائلات والأسر. لكن المرأة السعودية اليوم تخضع لتجاذبات بين من يريدون قمعها وإيقاف حركتها، وبين من يريدون أن تكون مجالاً لحديثهم وتنابزهم مع خصومهم، صارت كرةً يتم تقاذفها بين الإسلاميين والليبراليين.

ولأن الغليان الثقافي في الحالة السعودية برمتها يؤسس لمرحلة من التجدد والتغيير، ولما كانت السعودية تزخر بإبداعات نسوية هائلة، فقد رأيتُ أن أخصص كتاباً حول المرأة، يتراوح بين النقد الساخر والطرح الجاد، بين القصص والحكايات وبين الأفكار والقصائد والأبيات.

شذرات وآراء، كتبتها في مناسباتٍ عديدة جمعتها بين دفتي هذا الكتاب لأوثق تاريخ حركة مفهوم المرأة في المجتمع،

كيف أصبحت حديث الإعلام، من الزواج إلى الطلاق، مروراً بقصص الحب، والاختلاط، والسوق، وليس انتهاءً بالممارسات الاستهلاكية.

آمل أن أكون قد وفقت في رصد هذا التاريخ من خلال هذه الصفحات. إنه ليس تاريخاً بالمعنى العلمي للكلمة بقدر ماهو تاريخ لليوميات.

أليس الصحافي «مؤرخاً يومياً»؟!

بهذا المعنى أعتبر أن ما بين دفتي هذا الكتاب صورٌ ليوميات المرأة في الخليج والسعودية تحديداً. والله من وراء القصد.

مونتريال 10 فبراير (شباط) 2011

تركي الدخيل

www.turkid.net

الفصل الأول

«من فتاة مغربية إلى السعوديات»...
وقصص أخرى!

«كل السياقات التي يمكن أن يوردها الشاب الخليجي تجاه الفتاة الخليجية، يمكنها أن تورد عليه مثلها وضعفها، ليس لأنها أعظم منه، بالضرورة، بل لأنهما يتقاسمان ذات البيئة».

من فتاة مغربية

قرأت رسالة في المجاميع البريديةِ الإلكترونية، يُقال إنها موجهة من فتاة مغربية إلى النساء الخليجيات كافة، وقد كتبت بلهجة مغربية دارجة، سأحاول ـ بقدر الامكان ـ نقلها إلى الفصحى، ثم أعلق عليها.

«إلى كل النساء الخليجيات. أختكم المغربية حسينة تود نصيحتكم. السلام عليكم. أنا مغربية ويشرفني أن أناقش معكم هذا الموضوع، فأنا أتمنى زوجاً خليجياً، والمشكلة الكبيرة أن نساء الخليج لا يُقدِّرن النعمة التي أعطاهم الله! والميزات الإيجابية في رجال الخليج، الشاب الخليجي (ما شاء الله) رجل بمعنى الكلمة. يقوم بكل واجبات بيت الزوجية، فينفق عليه من الأول إلى الآخر، ولا يترك لزوجته أو أبنائه حاجة. يوفر الحنان والحب لزوجته، ويغار عليها من الهواء الطائر، يغار على

جمالها وأخلاقها، وهذا ما تتمناه المرأة المغربية في زوجها. لكن المشكل الكبير هو أن المرأة الخليجية لا تقدِّر الرجل الخليجي. فهي تتكبر عليه، ولا تعطيه من وقتها، فوقتها بين التسوق والصاحبات، والذهاب إلى الصالونات للتجمل، وليتها تتجمل لزوجها، بل تتزين لتباهي بجمالها صاحباتها. إنها غير معتنية بتربية أولادها بنفسها، بل تلقي بهذه المهمة على المربية والشغالة التي يوفرها لها زوجها. إن أكبر خطأ ترتكبه المرأة الخليجية في حق زوجها، أنها لا تمنحه وقتاً، فهو يعود من عمله ليجدها نائمة، أو في بيت أهلها، والسبب هو تكبُّرها وغرورها، وحرصها الدائم على أن تظهر بأنها أهم من زوجها».

ثم تسلك الرسالة إلى بيان حال المرأة المغربية، بأن زوجها والاهتمام به وبأولادها هو غايتها ومرادها... وأقول إن هذه الرسالة على الرغم من أنها وليدة تصوُّر البيت الخليجي، إنّ في سلوك الرجل أو المرأة كما تعرضه المسلسلات، إلا أنها تعكس شيئاً من الواقع، وليس الواقع كله، و فيها شيء من حقيقة، مع افتراض

أن الرسالة تبدو قد خُطّت بأنامل تمساح خليجي، يتقن اللهجة المغربية. والتمساح هو الاسم غير الرسمي للشاب الخليجي، في حالات تمليحه وتغنيجه وتدليعه! غير أن نموذج الفتاة السعودية، التي تعتني بزوجها وتحفظ أولادها، هو نموذج موجود ومنتشر بحمدٍ من الله، وأحسب أن المرأة السعودية، والخليجية كذلك، تجسد القول المأثور في المرأة التي إذا نظرتَ إليها سرّتك، وإن غبتَ عنها حفظتك.

كل السياقات التي يمكن أن يُوردها الشاب الخليجي تجاه الفتاة الخليجية، يمكنها أن تورد عليه مثلها مضاعفةً، ليس لأنها أعظم منه، بالضرورة، بل لأنهما يتقاسمان ذات البيئة...

ونفس الطبائع والسلوك، تنطبع بها كل الجنسيات، ليس من المحيط إلى الخليج، بل من المحيط إلى المحيط، لتشمل العالم كله، عربه وعجمه، بيضه وسوده. وتبقى متوالية النقاش الدائرة بين الذكر والأنثى غير منتهية، لها أول وليس لها آخر، كالسؤال السفسطائي التقليدي التاريخي: البيضة قبل الدجاجة أم الدجاجة

قبل البيضة؟! أترون هذا السؤال لو صيغ في ظل النقاش البيزنطي حول أفضلية الرجل أو المرأة، ألا يصيغه الذكر ليكون: أيهما وُجد قبل الآخر، الدجاجة أم الديك؟! وقدّم الدجاجة من باب «الإيتيكيت»، استناداً إلى أن النساء أولاً!

الرسالة التي طار بها الرجال، وشرّقوا بها وغرّبوا، بعثها لي منهم العشرات، مع تعليقات غاية في السخرية، منها قول أحدهم: إننا مطلوبون معاشر الشباب الخليجي، ولم أتنبه لقيمتنا إلا اليوم مع هذه الرسالة العظيمة. وآخر بعث بأصابع يديه العشرة ليبصم على ما جاء في الرسالة، وقد علّقت عليه فتاة بخبث: الغريب أنك لم تبعث بأصابع قدميك الممتلئتين بالشقوق لتبصم بالعشرين!

انتقادات الفتاة المغربية للمرأة الخليجية التي تعتمد على الخادمة في معظم شؤونها، فرضتها ظروف حياتية، وأنماط استهلاكية، ورخاء اقتصادي، ودول رعوية أبوية، لو أتيح مثله للطبقة المغربية الوسطى، لما كان منها إلا ذات الممارسة بطبيعة الحال.

إن كانت الرسالة مفبركة، ولا أستبعد هذا الاحتمال، فأنا مضطر أن أخلع عقالي (بدلاً من القبعة) احتراماً لكاتبها، فقد استطاع أن يقود برسالته إلى نقاش اجتماعي صاخب، وأن يخوض في المسكوت عن معظمه على الأقل.

«ضحكت لي = حبتني!»

موظفات الاستقبال السعوديات في المستشفيات والمستوصفات، استبدلن الابتسامة التي اعتاد عليها المراجعون والمرضى، بالتكشيرة، كما يقول التحقيق المنشور في جريدة «الوطن» السعودية بتاريخ 1/ 9/ 2007!

من ذا يبدل الابتسامة والبشاشة والوجه المريح، بالتكشيرة، جالبة الهموم، التي تورث الهمَّ وتثير الكآبة؟! إنه السلوك المنحرف!

يقول التحقيق إن فهم بعض الشباب الخاطئ لابتسامات موظفات الاستقبال جعلهن يتخلَّين عن السلوك الصحيح، نتيجة ردود الفعل المتخلفة.

إن قاعدة: «ضحكت لي = حبتني»، الموغلة في البساطة والسذاجة، وتحميل الأشياء ما لا تحتمل، هي

التي جعلت بعض الشباب يعتقدون أن ابتسامة موظفة الاستقبال، الصادرة من أنثى، تعني أنها وقعت في حبائله، وأصبحت مغرمة بهذا الشاب الجميل، الذي لم يتذكر عندما امتلأ بهذه القناعة، أنه لو نظر في المرآة إلى وجهه، لاستعاذ على الفور من الشيطان الرجيم، وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: 58]، ولربما زاد فنفث عن يساره ثلاثاً، وفي المرآة مثلها، علّ وجهه يغيب عن المرآة!

يا شبابنا الكريم، يا عماد الأمة، ويا فخر الوطن، «اركدوا شوي»، نفع الله بكم، فابتسامات الفتيات، وبالذات إذا كن موظفات استقبال، أو عاملات في مواجهة الجمهور، لا تعني دعوتكم إلى ما لا يجوز لكم، أو إلى ما لا ترضونه لأهاليكم!

ذكّرني ذلك بما كان يحدث مع جملة من شباب إحدى مناطق السعودية، الذين كانوا يسافرون صيفاً إلى منطقة سعودية أخرى، فإذا رأوا النساء يلتزمن بالحجاب الشرعي، مع كشف الوجه، ظنوا أن كشف وجه الفتاة، الذي لم يعتادوا عليه في منطقتهم، مظنة «ردى» في

الفتاة، أو فساد في أخلاقها، فانطلقوا يعرضون أنفسهم بسماجة، وفي النهاية يستغربون أنهم يواجهون صدوداً... رغم أنها «كاشفة»!

خنجر في حرب؟!

ربما كان الحديث عن المرأة باعتبارها قضية، هو الحديث السائد هذه الأيام. لم نتعامل بعد مع المرأة بوصفها شريكاً يقاسمنا الحياة والعيش المشترك على هذه الأرض، وإنما لا زلنا نتعامل معها كقضية، مثل قضية الكتابة على الجدران، والتأخر عن الطابور الصباحي، علماً أن البعض يظن أنه حينما يُخضع المرأة لهذا النوع من التناول إنما يكرمها، بينما هو يبخسها حقها، ويُحولها إلى موضوع، لا كفاعل مشارك في رسم كل أشكال الحياة وتشكيلات المجتمع، هذا النقد ينطبق على التيارين المتصارعين في السعودية على حد سواء.

وإذا استعنّا بالذاكرة، فإنه ومنذ اقتحام جهيمان للحرم المكي في مطلع محرم من العام الهجري 1400 (1979)، والمرأة محورية في الخطاب الديني. احتجّ

جهيمان على ظهور المرأة في التلفزيون، منطلقاً من موقف فكري صارم مفاده أن المرأة عبارة عن عورة متحركة، لا يمكن إلاّ أن تبقى في البيت، أو على حد تعبير العامة في أمثالهم: «المرأة ليس لها إلا بيت يسترها أو قبر يضمُّها». تطور الموقف الحادُّ من المرأة خلال العقود الماضية، ليتحول إلى محور الجدل الرئيسي في صراع التيارات، وكأن قدر المرأة أن لا تكون فقط سلعة إعلانية وتسويقية، بل سلعة فكرية أيضاً، لهذا لم يتم تناول قضايا المرأة بوصفها إنساناً له متطلبات العيش، وإنما تناولتها التيارات بصفتها ورقة رابحة، وهي موضع النزاع والجدل والحرب!

المرأة ببساطة هي الأخت والأم والقريبة والجارة، إنها ليست بعبعاً مخيفاً أو عورة مستديمة، إنها كائن طبيعي يشترك مع الرجل في كثير من الصفات، ولا معنى لتضخيم الخطابات حولها.

لماذا يتناول البعض دائماً المرأة بصفتها موضع الخطيئة، لا موضع الإبداع والإثمار؟!

لا يتعاطون مع المرأة بوصفها حاضنة البشرية،

ومصدر الخصوبة... ولا بصفتها الأم الحنون، والأخت المُحبة، بل تجد معظم الأطروحات حولها تتمحور حول الخطايا وكأنها لعنة وسوأة.

تلك هي الجاهلية الجديدة، أن نعتبر المرأة عاراً يجب الحيطة منه والحذر من تصرفاته.

بل لقد بلغ الحذر بالبعض من نسائهم وعدم الثقة بهنّ، أن منعوا التلفزيونات والصحف والجرائد والمجلات عنهن! منعوا دخول أي وسيلة للترفيه إلى البيت، حتى لا ترى المرأة ما يفتنها! وكأنهم مبرأون من الفتنة، بينما الأنثى والغة فيها!

أن تقضي المرأة وقتها بالبيت أسيرة للفراغ القاتل، وحبيسة آلام الوحدة والعزلة، أليس هذا هو الوأد المعنوي؟ وهو أشد إيلاماً من الوأد الجسدي، أن يحبس ولي الأمر النساء في بيته ويمنعهن حتى من الخروج للتعلم والتنزه أو التبضّع أو المشي أو زيارة الصديقات، لأنه يسير على مبدأ شديد الخطورة، خلاصته أن الأصل في المرأة الخطيئة والمعصية، وهو أمرٌ مؤسف بحق عقله أولاً.

المشكلة أنه، وعلى الرغم من كثافة النتاج السجالي المطروح حول المرأة، لم تتطور النظرة للمرأة كثيراً، ولم يتغير التعامل معها، بل على العكس من ذلك، زاد البعض في تحفّزهم إزاءها، وكأنهم يريدونها أن تبقى على ما هي عليه، محبوسة مركونة، إلى أن يأتيها عريس ربما كان جنةً وربما كان جحيماً آخر، يسومها سوء العذاب.

أين هو الخطاب المتعلق بالمرأة من تناول أبجديات حقوقها، في مناحي الحياة كافة؟!

كفوا يا سادة عن تحويل المرأة إلى وسيلة للسجال، وليتطور الفعل الاجتماعي إزاء المرأة ليدخل في عمل المؤسسات، لتخرج المرأة من كونها مجرد خنجر في معمعة حرب لا ناقة لها فيها... ولا بعيرا!

حياة الآلام... مدرسة الآمال

المرأة هي عنوان الرقة والأنوثة، تمدنا بالأمل الذي يخفف من قسوة الحياة، ومن تصاريف الوجوم الذي تسببه بعض الأحداث والمآسي والآلام.

تألمتُ كثيراً لما يحل بالمرأة العراقية، أثناء استماعي ذات يوم لامرأة في (BBC) وهي تتحدث بصوتها المتهدج الباكي يعتصرها الألم: «خطفوا ابني الصغير! لا أدري لماذا؟».

هذه الأم المكلومة بابنها الذي اختطف من قبل جماعات منظّمة تقوم بخطف الأبناء ولا تطلق سراحهم إلا بعد أن تُدفع لهم الأموال فدية. الكارثة أن أغلبية المخطوفين من عائلات فقيرة ومعدمة!

وهكذا يجور الزمان على الضعفاء أضعافاً مضاعفة، وكأنهم بحاجة إلى غمٍّ فوق الهمٍّ!

تقول التقارير إن الأمهات في بعض مناطق العراق يجلسن على عتبات المدرسة، خلال ساعات دراسة أبنائهن، خشية عليهم من الخطف أو من آثار انفلات الأمن...

تبقى الأم سبع ساعات وزيادة، على عتبة المدرسة، منتظرةً خروج فلذة كبدها من المدرسة لتُقلّه إلى البيت. تقضي كل هذا الوقت، لتؤمِّن ابنها من نوائب الزمن الغادر، والأمن المنفلت!

هذه المرأة الصامدة التي تكافح ضد كل أنواع وأصناف القهر والبشاعة والتوحش السائدفي العراق منذ الحرب (2003)، التي أثمرت عن نظام مفكك مهلهل تتنازعه الأحزاب المدججة بالميليشيات القاتلة. إن المرأة العراقية التي تعيش هذه الحالة من الألم جديرة بالتأمل والدرس، وسيكتب التاريخ تضحياتها، بمداد من ذهب وتقدير وإجلال.

أليست الأم أغلى ما في هذه الحياة؟!

هي كل الحياة، تحمل طفلها تسعة أشهر قبل أن تنجبه ليصبح شريكها في الحياة، تمضغ له اللقمة،

وترضعه من ثديها، حتى يشبّ ويكبر، ويصبح بعدها الطفل الكبير. كلما رأيت تعامل والدة الشاعر السوري أدونيس التي تجاوزت ـ أمد الله بصحتها ـ المائة عام، مع ابنها الثمانيني، أيقنت أن الأم لا يمكن أن تقتنع بأن ابنها جاوز مرحلة الطفولة. حتى لو علا الشيب مفرقه، وثقل مشيه، وانحنى ظهره.

إنها معجزة الحياة أن تكون الأمهات الصالحات على هذا المستوى من التحمل والقوة.

في فيلم «I am Sam» المنتج عام 2001، من بطولة الممثل شون بن، والممثلة ميشيل فايفر، يقوم شون بدور الأب الذي يجمع بين غرابة الأطوار وطيبة القلب، فيرعى ابنه الذي ماتت أمه. يصل بنا الفيلم إلى قناعة تكاد تكون حقيقة، وهي أن الرجل مهما حاول أن يقوم بدور الأم فإنه سيعاني ويتكلف ولن يكون بمستوى الأم ذاتها.

الأمومة ليست وظيفة، إنها روح خاصة، وعلاقة غير مفسرة، بين الأم ووليدها.

تلك هي معجزة الأمومة، التي لا يمكن أن تُفسّر أو تُفهم.

حفظ الله لكم أمهاتكم، وأعانني أنا، ومن فقد، مثلي، أمه، من القارئات والقراء على الحياة بلا أمهات، ليرحمهنَّ الله.

تاريخ «بنطلون» المرأة

المرأة هي التي تشق طريق حريتها بنفسها، والتجربة الأوروبية هي المثال الأبرز.

كانت المرأة محرومة من كثير من الحقوق الحياتية التي تتمتع بها هذه الأيام. قرأتُ ذات مرة أن كتاباً صدر في باريس عن تاريخ كفاح المرأة ذكَرَ أنها ناضلت حتى استطاعت أن تُقنِع المجتمع بحقها في ارتداء البنطلون، الذي كان يُحظر عليها ارتداؤه، حتى في المجتمعات الغربية، بوصفه من الملابس الذكورية التي لا يحق للمرأة ارتداءها، حتى لا تتشبه بالرجال!

وتحدث الكتاب، الذي نُشر بعنوان: «التاريخ السياسي للبنطلون»، للمؤلفة: «كريستين بارد» عن: «إن أول امرأة فرنسية تمكنت من أن تنتزع من المجتمع الرسمي الفرنسي الموافقة على منح المرأة حق ارتداء البنطلون

في المصالح الحكومية كانت ميشيل إليو ماري وزيرة العدل الفرنسية الحالية ووزيرة الدفاع السابقة».

الغريب أن الكتاب يكشف أيضاً عن أن شيراك عندما كان رئيساً لوزراء فرنسا عام 1976 علق محتدّاً على وزيرة التعليم العالي آنذاك «أليس سونييه سايتي»، وذلك لإصرارها على ارتداء البنطلون خلال جلسات مجلس الوزراء. تقول المؤلفة: «إن شيراك لم يجد حرجاً في تأنيب وزيرته أمام بقية الوزراء قائلاً لها: عندما تحضرين جلسات مجلس الوزراء وأنت ترتدين البنطلون فإنك لا تكتفين فقط بتشويه صورة الحكومة ولكنك تشوّهين أيضاً وجه فرنسا»!

من المفاجآت بالنسبة لي، على الأقل، أن أعرف أن منع المرأة من ارتداء البنطال في فرنسا، لا يعود إلى عهود سحيقة، بل يعود إلى السبعينات من القرن الماضي، أي ما لا يزيد عن عقود ثلاثة.

توجهت ميشيل إليو ماري إلى البرلمان الفرنسي في عام 1972 عندما كانت تعمل في مكتب رئيس وزراء فرنسا حينذاك إدغار فور، لتسليم رسالة إلى وزير

الشؤون الاجتماعية خلال انعقاد إحدى جلسات البرلمان، فمنعها المسؤولون من دخول البرلمان بسبب ارتدائها البنطلون، فهددتهم بخلعه في الحال إذا لم يسمحوا لها بالدخول، وأمام شعورهم بجدية تهديداتها، سُمح لها بالدخول، لتكون بذلك أول امرأة تطأ البرلمان الفرنسي، وهي ترتدي البنطلون، الذي ظل حتى ذاك التاريخ ممنوعاً عليها ارتداؤه في الأماكن الرسمية، بمقتضى قانون صادر في 7 نوفمبر (تشرين الثاني) عام 1800، صنف البنطلون على أنه من الملابس الذكورية المحظورة على النساء.

هذا هو تاريخ نضال المرأة من أجل حقوقها، وهو مليء بالصعوبات، وليس مفروشاً بالورود. هناك ظنون كثيرة لدى بعض النساء أن الحقوق تعطى، بينما الصواب أن الحقوق تؤخذ، والحرية ليست شيئاً يقتنى أو يشترى، بل هي ممارسة اجتماعية وثقافية تطغى عليها حالة الإقناع والحوار والنقاش والمطالبة.

إن الحقوق التي تحتاجها المرأة العربية والخليجية ليست مجرد لبس البنطال، وإنما أن تجد تنظيمات

تنصفها في مسائل الطلاق والحضانة والجنسية، وهي مسائل ملحّة تحتاجها المرأة أكثر من حرية اللباس والمكياج.

في تصفحي لكتب التاريخ أجد أن انفتاحاً عفوياً شهدناه في العصور الماضية. وإذا قرأنا في تاريخ المجتمات الخليجية بعامة وتطورها، نكتشف أن المرأة كانت تحصل على ما تشاء بقوة الإقناع أو قوة الشخصية، كما أن النساء ـ آنذاك ـ كنّ يقمن بالبيع والشراء ويمتلكن بضائع خاصةً بهنّ ويستدين منهنّ بعض الرجال. كانت المرأة شريكة أساسية في تجارة المجتمع، ولم تكن دخيلةً عليه أو مستهلكةً فقط.

إن الاستقلال الشخصي للمرأة يبدأ من تكوين شخصيتها الفكرية، بحيث تكون متحررة من أعباء التبعية قدر الإمكان، لأن المرأة ليست متاعاً ولا مجرد كائن يسكن البيت، بل هي إنسان، وهي التي ولدت الرجل، ولا غنى للبشرية عن تكاملهما. لكن ما يجب أن نؤكد عليه أن حقوق المرأة لا تُعطى من قبل الرجل، وإنما تأخذها المرأة أخذاً، فالحقوق تؤخذ بالغلبة المدنية، ومن خلال

الوعي الجماعي للنساء، وهي مسؤولية نسوية في المقام الأول، أن يحصلن قدر الإمكان على حقوق قانونية وتنظيمية وتشريعية، لا مجرد حقوق شكلية عادية.

اغتيال المرأة!

كانت المرأة عضواً فاعلاً في المجتمع المدني الإسلامي. لم تكن مكبّلة بهذه القيود التي تفرض عليها حالياً بسبب الأعراف والعادات المزعجة. إذا قرأنا كتاب عبد الحليم أبو شقة «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، والذي اعتمد فيه على الأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم، حيث ثبت أن المرأة كانت حاضرة في عصر الرسالة، بل كانت مؤثِّرة وقائدة في مجالات متعددة، وفي التجارة بالذات. ويكفي أن نستحضر زوجة النبي، صلى الله عليه وسلم، «خديجة» ودورها المؤثِّر في المسلمين إلى اليوم، لنعلم أن المرأة لم تكن مجرد رفّ مركون من رفوف البيت، بل كانت عضواً مؤسساً لكيانات مدنية كثيرة منذ عصر الرسالة.

كانت المرأة تلقى الرجل في الحياة العامة بشكل

سهل ومتاح. يسرد أبو شقة في كتابه الضخم والمهم، مئات الوقائع التي تدلُّ على مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية. كان هناك مصطلح «لقاء الرجل بالمرأة»، حيث بوّب البخاري الكثير من الأبواب التي تدل على هذا. واتفق الكثير من العلماء على هذا المبدأ، لأن اعتبار المرأة بعبعاً أو برميل بارود، يكمن الخطر بالاقتراب منه، يُعبِّر عن فهم غير إنساني للمرأة، فهي إنسان مثل الرجل، وقمعها تحت أي دعوى دينية، أو أي ذريعة اجتماعية، جناية على تألقها الإنساني، وكبت لقدراتها وإمكانياتها الذاتية.

في السابق كان مفهوم «الشر» لدى الرجل هو ذاته لدى المرأة، لكن تضخم الخطابات الدينية المتشددة، واستحكامها، وانفرادها لعقد كامل بمجتمعاتنا، عبر الضخ والتهييج، أسهمت في قمع كل إرادة خروج تقوم بها المرأة. لقد وضعوا الشر ـ كله ـ في المرأة، لكأن هذا الرجل كامل العصمة، يحتكر كل أساليب الخير!

إن نوع الخطاب الديني الذي يُحرِّض ضد براءة المرأة ونواياها الجميلة، ينطلق من فهم سيء لطبيعة

المرأة، يصوِّرها فتنة مدسوسة تذهب بدين المرء، وتتحين الفرص للفتك بالرجل، وعفَّته!

لم تنهَ النصوص الدينية الإسلامية عن غير الخلوة غير الشرعية، في دلالة على أن هناك خلوات شرعية، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، عن أنس بن مالك، أنه قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة ابن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك.

هذه الخلوة البريئة، والتعامل الأنيق مع المرأة، هو السلوك النبوي الذي نفتقده مع تضخم خطاب «شرّانية المرأة»!

الروائيات السعوديات
وجدل المحظورات!

تُشكل الرواية السعودية تظاهرة ثقافية جماعية، حيث أصبحت ملاذاً لكل من أراد التعبير عن مكنوناته البشرية، عبر اختراع عدة أبطال داخل النص الروائي، وإطلاق العنان لهم ليتحدثوا عن أمور كثيرة. إنها حالة من إطلاق الشخوص إلى العلن، ليتحدث كل بطل بمكنونات الروائي، وتناقضاته، وخلجات نفسه.

تتحاور الشخصيات داخل الرواية بما يشكل مزيجاً من الذات والآخر، من الحق والباطل، من الواقع والخيال، من الشك واليقين؛ لهذا تغري الرواية الكثير من الكُتّاب، لأن تكون هي الوسيلة لتضمين أفكارهم.

هناك فلاسفة كبار وضعوا نظرياتهم وأفكارهم عبر أشخاص الأبطال في الرواية، وعبر النصوص المتحاربة

داخل الرواية. فقد وضع عبد الرحمن منيف مشروعه الفكري والثقافي في الرواية، وكذلك فعل نيكوس كازانتزاكس أحد أشهر الروائيين العالميين، وصاحب رواية «زوربا» الاستثنائية، في تاريخ الكتابة الروائية، والتي تحولت إلى فيلم في الستينات من القرن الماضي، يحمل نفس الاسم، بالأبيض والأسود، كانت البطولة فيه لـ «أنطوني كوين». كما أن نجيب محفوظ، جعل أبطال رواياته جيشاً من النقاد للواقع الاجتماعي المصري المزري الذي أعقب ثورة 1953.

في السعودية، هناك بروز لدور المرأة السعودية، بوصفها روائية أساسية، تحرك المشهد الروائي النسوي في الخليج والعالم العربي. روايات تركت أصداء غير مسبوقة لأي رواية في تاريخ الكتابة في الخليج بغض النظر عن المحتوى والمضمون. أعرض على هذا مثلاً رواية: «بنات الرياض»، التي طبقت شهرتها الآفاق، وتُرجمت من العربية إلى لغات عديدة. ومن ثم نقرأ الروايات الرصينة التي حركت المشهد الفكري السعودي لدى رجاء عالم، ومن ثم لدى ليلى الجهني، ومها الجهني صاحبة رواية «العباءة»، ولا ننسى الروائية

الجريئة زينب حفني، وغيرهن من الروائيات الشابات اللواتي كتبن لأول مرة.

تقول الروائية الكويتية ليلى العثمان: «إن معظم الروايات النسائية السعودية الجديدة التي تُكتب بأسماء مستعارة أو أسماء رجال هي روايات أخجل من قراءتها لما فيها من أدب مكشوف يعتمد على الجنس للترويج لنفسه. للأسف إن الروايات ذات الطابع الجنسي أكثرها لكاتبات سعوديات».

وترى العثمان أن التكثيف الجنسي لدى الروائيات السعوديات مبالغ فيه. وبالفعل فإن التظاهرة الروائية السعودية، على جمالها وأهميتها، تعبر عن كبت جنسي مضاعف، كان بإمكان الروائيات التقليل منه، أو عدم الدخول فيه بشكل مزعج، لكنه عالم الممنوع، يوّلد الرغبة للولوغ فيه!

لدى الروائيات الكثير من القضايا والكوارث والمآسي التي تحيط بالمرأة السعودية بخاصة والخليجية بعامة، بإمكانهنّ تناول تلك القضايا في الروايات، كما تتناول الروائية العظيمة الحائزة على نوبل «ألفريدا يلينيك»

قضايا المرأة الأوروبية. «ألفريدا» ضمَّنت رواياتها إسهاباً في المشاهد الجنسية لكنها أتت بوصفها ضرورة نصية، ضمن سياق معالجة ومناقشة مأساة المرأة الأوروبية. إنها روائية استثنائية وعبقرية، ولهذا استحقت جائزة نوبل. إن نموذج «ألفريدا» في الرواية هو المفقود في الحركة الروائية السعودية، وهو ما تحتاجه الروائية، وهو ما يحتاجه المجتمع. هذا ما نتمناه ونطمح إليه من كل ذلك الحراك الروائي، لعلنا نبلغه.

ما حك جلدها... مثل ظفرها

ماذا تفعل المرأة لإثبات نفسها في ظل تحكّم الواقع الذكوري بها؟ وماذا تفعل في ظل هيمنة ثقافة عربية ذكورية؟! كانت المرأة في الثقافة العربية من سقط المتاع، توهَب وتُعطى وتُمنح. وقدّر الإنسان العربي الناقة والبعير وقطيع الشياه، أكثر مما قدّر المرأة، لأن المرأة بالنسبة له عبء، بينما البعير والناقة والشاة، هي ثروته وماله. كان العربي يئد ابنته ويضعها بكل اطمئنان في حفرة مظلمة، ثم تنفض هي بكل حب التراب عن لحيته، قبل أن يمضي إلى بيته من دونها. هذه هي صورة المرأة عربياً، وهي صورة ثابتة بالقرآن الكريم، قال تعالى منتقداً العرب في تعاملهم مع المرأة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾. [النحل: 58 - 59] يقول البغوي في تفسيره: «وذلك، أن مُضر وخزاعة وتميماً كانوا

يدفنون البنات أحياء، خوفاً من الفقر عليهم، وطمع غير الأكفاء فيهن، وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية، قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذه البئر، فيدفعها من خلفها في البئر، ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿...أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾». ويثبت خليل عبد الكريم في كتابه: «العرب والمرأة»، كيف كان العربي يمدح المرأة كلما وجد فيها شبهاً بناقته المفضّلة!

وإذا كان الإسلام بنصوصه التأسيسية، منح المرأة مساحة للحركة في الواقع، لم تُمنح لها من قبل، إلاّ أن هذه المساحة لم تتطوّر، مع أن النبي، عليه الصلاة والسلام، كان يحثّ على تعامل إنساني مع المرأة. وفي الحديث الصحيح أنه قال في سكرات الموت: «خيركم خيركم لأهله». بمعنى أن الممارسات التي تُهان من

خلالها المرأة العربية لا علاقة للإسلام بها، بل هي بسبب الثقافة العربية، التي لم تتطوّر تبعاً لتطور النصوص التأسيسية للإسلام، ولم تتجاوب مع إرادة تمكين المرأة التي نجح بها صدر الإسلام الأول، وتراجعت مع «تسليعها» في الخلافات الإسلامية، عندما تحولت بين مصيرين، سلعة داخل القصر، أو جثة في القبر!

قرأتُ منذ مدة عن تأسيس: «الشبكة النسوية للشابات العربيات»، وبحسب خديل الخولي، فإن الشبكة تهدف إلى: «إيصال صوتنا الشاب للتعبير عن قضايا المرأة العربية والتأكيد على حبنا وانتمائنا إلى أوطاننا، ومحاولة تغيير أوضاع المرأة العربية بالوقوف على مشكلاتها ومحاولة إيجاد الحلول، وذلك بمشاركة فتيات من أغلب الدول العربية مثل لبنان والبحرين والجزائر والسعودية والسودان والأردن، حيث يجمعهن جميعاً اهتمامهن بقضايا المرأة».

من خلال قراءتي لنتائج المؤتمر الذي عقد في القاهرة من 29 أبريل (نيسان) إلى 2 مايو(أيار)

2010، سعدتُ بما تم تداوله من «التحديات والمعوقات التي تواجه الناشطات الشابات في عملهن واحتياجاتهن مع تكوين معرفة بالفكر». من الضروري تمديد هذه الأهداف، لتكون وسيلة لمقاومة القهر والتهميش الممارس ضد المرأة، بسبب حمولة الثقافة والتقاليد، التي كبّلت حركة المرأة، وجعلتْها حبيسة أساليب تعامل بالية، آن أوان تغييرها ونقدها والخروج عليها. وعلى المرأة أن تأخذ حقها بيدها، وأن لا تنتظر من الرجل مساعدةً لتغيير واقعها؛ وفي المثل الشعبي: «ما حكّ جلدك مثل ظفرك»، فيا سيدتي: ما حكّ جلدكِ مثل ظفركِ.

معادلات اجتماعية للمرأة الخليجية!

يختلف النسيج الاجتماعي الذي تتحرك المرأة الخليجية داخله، ذلك أن العائق الحقيقي لتطورها وانعتاقها من الخطوط التي حُبست داخلها هو المجتمع بشكلٍ رئيسي. فالحكومات في الخليج في المجمل، حريصة على إخراج المرأة من الحبس التاريخي الذي بقيت داخله، إلى الحياة العامة بكل ما تحمله من مغانم ومغارم، لتبدأ بشق طريقها... إن أرادت.

ولعلنا نسوق مثالاً على ذلك بالتطور الذي شهدته المرأة الخليجية في سبيل حصولها على حقها في المشاركة السياسية في الكويت والبحرين وعمان والإمارات، والتطور الذي شهدته المرأة السعودية على مستوى التعليم، نرصده في «الابتعاث»، وفي جامعة الملك عبد الله للتكنولوجيا «كاوست»، على الرغم من الجدل

الاستثنائي الذي صاحبهما، دون أن نُغفل الصعوبات الإدارية التي تواجهها المرأة التي تنوي الابتعاث، لكن ما تحقق بكل الأحوال كان أمراً مفرحاً. كما سبقت المرأة البحرينية والإماراتية النساء في بقية البلدان الخليجية بمراحل، خاصةً لجهة توليها حقائب وزارية، في الحقوق القانونية التي نالتها وأخص منها ما يتصل بالأحوال الشخصية.

غير أن مرور يوم المرأة العالمي ومعه عيد الأم، وكلها أعياد أنثوية بامتياز تُحرضني على العودة إلى مناقشة آمال المرأة وطموحاتها. نحن نقرأ المرأة الخليجية اليوم كرقم صعب في المعادلات الفكرية والسياسية. نقرأ عن النساء الأربع في مجلس الأمة الكويتي، ونقرأ المفكّرة المشاغبة الدكتورة ابتهال الخطيب، التي تصيب أعداء المرأة بالدوار لمنطقها وصلابة طرحها، كما نقرأ المبدعات السعوديات، في إنجاز الدكتورة خولة الكريع، في مجال البحث العلمي الطبي، وآخرهن السعوديات الأربع اللواتي سيقابلهنّ الرئيس الأميركي باراك أوباما.

إنها نقلات نوعيّة، في فترات متقاربة، تحتاج إلى تشجيع ومثابرة، لتؤتي كل تلك المحاولات والمنازلات ـ أو بعضها ـ شيئاً من ثمارها.

تعتبر المرأة الخليجية «مجاهدةً» اجتماعية، إذا تأملنا الهواجس الضخمة التي تطاردها، على المستوى الاجتماعي بالذات، حيث انتقى الرجل من النصوص الدينية ما يخدم عاداته وتقاليده، ولم ينتقِ منها ما ينصف المرأة.

إنها القراءة بعين واحدة عوراء، إذا صحّ التعبير، بحيث يقرأ الناس ما يُرسّخ تخلف المرأة، ويخفون عمداً أو جهلاً ما ينصفها ويحفظ حقها.

في السابق كانت المرأة السعودية تمتلك مباسط خاصةً في الأسواق الشعبية، يشتري منها الرجال والنساء على حدٍّ سواء، وكانت الأمور على ما يرام كما يذكر المؤرخون. أما اليوم فيدور جدل تحول إلى صراع أيديولوجي حقيقي، حول حقّ المرأة في شراء ملابسها الخاصة من امرأة أخرى!

أظن أنها معركة مضحكة، للذين يتابعونها من

الخارج، ومضحكة أيضاً لمجتمعنا في حال قرأها أبناؤنا وأحفادنا بعد سنوات... ستكون قصةً مسلّية تبدأ بـ «كان يا ما كان في قديم الزمان».

لا أريد أن أبدو متشائماً في تفكيري، فهذه ليست من شيمي، لكنني أحاول أن أتفاءل بهذه المناسبات الأنثوية، أتفاءل بأن خطت المرأة الخليجية، خلال السنوات العشر،خطوات مميزة، بل ومهمة على أكثر من صعيد.

فقط تحتاج المرأة الخليجية إلى صوت يمثّلها من النساء، لا أن يدافع عنها الرجل، لأن الرجل مهما أدرك، لن يكون منطقه مقنعاً للواتي أخذهنّ تيار المجتمع الجارف، لصالح التفكير التقليدي.

أكاد أقتنع أن المرأة هي الوحيدة، التي تستطيع إقناع المرأة، بضرورة الخروج من الحبس، وضرورة دفاعها عن حقوقها التي كفلتها كل الأعراف الإنسانية... إلا إن شاءت السيدة الأنثى، أن ترفض الأنثى!

المؤامرة على المرأة المسلمة

لا يمكن لمن يتابع أدبيات بعض الخطابات الأيديولوجية، إلاّ أن يلحظ أن هذا الخطاب مشبّع بالحديث عن المؤامرة على المرأة المسلمة؛ فهم يصوّرون أن هناك مخططاً دقيقاً يحاك بليل، هدفه الكيد للمرأة المسلمة، وإخراجها من عفافها، وهتك سترها، ونزع جلبابها، وتدنيس فضيلتها. وقد بقينا عقوداً نصدّق هذه الأطروحة، ونخشى من تحقق مخططات الذين يكيدون ويمكرون بالليل والنهار، للنيل من عفاف المرأة وسترها.

بقيت هواجس التخطيط تسيطر علينا. خشيناها كما تخشى الخراف الذئاب المتوحشة الغادرة.

أتحدث هنا عن الذئب، الذي تم توظيفه ضمن هذه الأطروحة، على اعتبار أنه الغادر الذي يتربص الدوائر بالشاة ـ الأنثى، ليفعل بها الأفاعيل.

صُوِّرت منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، ومنظمات المطالبة بحقوق المرأة، وكل من ردد أطروحة من أطروحاتهم، بأنهم الذئب الذي يتحين الفرصة لحين غدرا!

وتم توظيف المرأة لصالح معركة الشعارات الملتهبة بين التيارات المتناحرة في عالمنا العربي.

الغريب أن الذين كانوا يستغلون المرأة استغلالاً رخيصاً لم ينتموا إلى تيار واحد مرفوض من قبل هؤلاء المحذرين المنذرين، بل كان بعض المنتمين إلى التيار المحذِّر، يمارسون أدواراً استغلالية للمرأة، فكم من قاضٍ شرعي، جاءته المرأة باكية شاكية من جور زوجها، وظلم بعلها، فلم يُصور لها الخلاص إلا بالاقتران به، في صورة بشعة من صور الاستغلال!

الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر.

لكن المقصود، أن ما يجب أن يكون هو أن يرفع الجميع أيديهم عن المرأة، وأن يخففوا من استخدامها ساحة لحروبهم، وسلاحاً في معاركهم، بعيداً عن قصد رفع الضرر عنها، ووقوعاً لغاية استغلالها في ميادين المعارك الفكرية، وساحات الوغى السجالية.

اتركوها تعيش حياتها، كما تختار هي، وكما تشتهي هي، وليرفع ذوو الشوارب واللحى، أيدي الوصاية عن بنت حواء، دون أن يعتبر كل واحد منهم أنه الوصي الوحيد عليها، وأنه المخلّص الذي سينقذها من براثن الرذيلة والردى، ومن عتمة الظلمة إلى رحابة النور، ومن ضنك الضيق، إلى سعة الراحة.

كانت المرأة منذ الخليقة الأولى، عنصراً رئيساً على هذه الحياة، ومكوناً أول من مكوناتها، فأعيدوا لها مكانتها الطبيعية، دون تفضل منكم عليها، أو منَّة.

توقفوا عن تصوير المؤامرات، وتخيُّل المخططات، والظن بوجود حبائل، تحاك للمرأة المسلمة، خاصة من بين نساء العالمين، وكأن خلق الله كلهم تركوا أعمالهم واهتماماتهم وكدّهم في سبيل معيشتهم، من أجل الكيد للمرأة المسلمة!

المرأة الإماراتية... صانعة التنمية

في حلقة من برنامج «كلام نواعم» على قناة MBC، في مطلع العام 2011، تحدثت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون، عن المرأة العربية، وعن التحديات التي تواجهها في سبيل نهضتها، والقيام بتطوير قدراتها، على المشاركة في الحياة الاجتماعية والعملية والفكرية. الجميل في كلامها أنها ذكّرتنا بأن الصعوبات التي تكتنف مسيرة المرأة ليست حكراً على المرأة العربية، بل تشترك معها المرأة الغربية، إذ لا تزال أفكار المساواة بين الرجل والمرأة محل حراك فكري بشري، وليست حصراً على المرأة العربية أو المسلمة. لكن الفرق في الثقافة الغربية أن المرأة يقف القانون بصفِّها، خاصةً في المسائل الأسرية وقضايا الحضانة والطلاق، بينما المرأة العربية تعيش حالة مزرية من الناحية القانونية. لا يزال القانون ذكورياً

استبدادياً وتسلطياً، في الغالب، في فحواه ضد المرأة.

لكن ما يدفعني إلى التفاؤل هو ما ألحظه من تطور. فخلال مراقبتي لمدة سنوات من إقامتي في الإمارات، لمست النمو الذي تحظى به المرأة الإماراتية، انطلاقاً من الرؤية التي تحقق فكرة أن المرأة تأخذ حقها بنفسها، لأن الرجل لن يعطيه لها من دون أن تحاصره بمطالباتها الدائمة، وبعملها على تخليص حقوقها من الثقافة الذكورية بعامة. وقد لفتني ما أشارت إليه أم الإمارات، الشيخة فاطمة بنت مبارك من تطلع «في المرحلة المقبلة إلى تحقيق المزيد من الإنجازات والمكاسب للمرأة العربية، وتمكينها بحيث تصبح شريكاً، وليس مشاركاً في التنمية المستدامة»، مبدية ارتياحاً لواقع مشاركة المرأة السياسية «حيث أصبحت المرأة تشارك اليوم في السلطات السيادية الثلاث، التنفيذية والتشريعية والقضائية، وارتفع تمثيلها في مجلس الوزراء في العام 2008، من مقعدين إلى أربعة مقاعد، ما يُعَد من أعلى النسب تمثيلاً على المستوى العربي».

أما بلغة الأرقام، فالمرأة الإماراتية تشغل 66% من

وظائف القطاع الحكومي، من بينها 30% من الوظائف القيادية العليا المرتبطة باتخاذ القرار، و15% من أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الإمارات، ونحو 60% في الوظائف الفنية التي تشمل الطب والتدريس والصيدلة والتمريض، إلى جانب انخراطها في صفوف القوات النظامية في القوات المسلحة والشرطة والجمارك. وتشكل المواطنات قوة العمل الرئيسة، ويعتبرن الحلقة الأقوى في حساب نسبة التوطين، في القطاع المالي والمصرفي، إذ يشكلن 69% من قوة العمل المواطنة في القطاع المصرفي. وفي مجال الأعمال، وبعد تأسيس مجلس سيدات الأعمال، وصل عدد سيدات الأعمال المنتسبات له نحو 12 ألف امرأة، يتولين إدارة 11 ألف مشروع استثماري، يصل حجم الاستثمارات فيها إلى نحو 12,5 مليار درهم، في حين وصل عدد النساء اللاتي يعملن في القطاع المصرفي، الذي يعد أهم القطاعات الاقتصادية في البلاد، إلى نحو 37,5%.

أما عن حركة عمل المرأة في إمارة «أبو ظبي» فهي لافتة ومتطورة بشكل واضح. وعلى حد قول المهندسة

فاطمة عبد الجبار، رئيسة الهيئة التنفيذية لمجلس سيدات أعمال أبوظبي، فإن «المرأة أصبحت مساهماً أساسياً في مسيرة التنمية التي تشهدها أبوظبي، إذ تشغل 14,5% من إجمالي قوة العمل، و18,5% من قوة العمل المواطنة، وإن حكومة أبوظبي تسعى من خلال ما تضمنته رؤية أبوظبي الاقتصادية 2030 من خطط لزيادة مشاركة الإناث في قوة العمل، ورفعها إلى مستوى 40%، ما سيسهم في تحقيق مزيد من النمو الاقتصادي في الإمارة».

إذا كانت المرأة الإماراتية تنمو بمثل هذه القوة وبدعم حكومي أساسي، فمن حقنا أن نتفاءل بمستقبل المرأة الخليجية والعربية، من حقنا أن نفرح بالجمال الذي يخلقه حضور المرأة في مسيرة التنمية والعمل، وفي مجالات التأثير والإبداع الاجتماعي والعلمي والتربوي والفكري كافة، بل والسياسي... بالفعل يحق لنا أن نتفاءل.

دفاعاً عن الأنثى

رحم الله علي مروة، لما قال: «والأدب النسائي يثور على الرجل الذي ينظر إلى المرأة على أنها «أنثى» فقط، على أنها فاكهة يأكلها الرجل ويشبع، ويبحث عن ثمرة أخرى، أو لا يبحث عنها إلا إذا جاع. والمرأة لأنها عاشت في مجتمع من صنع الرجل، فقد ظلّت حريصة ألوف السنين على إرضائه، على أن تكون «أنثى» ولذلك اهتمت بجسدها، أكثر مما اهتمت بعقلها. واهتمت بحيوانيتها أكثر من اهتمامها بإنسانيتها، فأضاعت وقتها في التجميل وفي الزينة وفي ارتداء الملابس أكثر من اهتمامها بثقافتها، وحتى عندما اهتمت بثقافتها أخفت في كل كتاب مشطاً، وفي كل مجلة مرآة، لأن الرجل يريدها جسداً ويضيق بها عقلاً، فضاقت هي بعقلها، وجعلت جسدها هو مملكتها...».

أقول إن مروة ـ رحمه الله ـ قد قسا على المرأة في توصيفه، فحمّلها مسؤولية انصياعها لرغبة الرجل، من جهة، وألبسها تهمة التجمل لأجل إرضاء الذكور، من جهة أخرى، وغاب عنه أن المرأة قد تسلك بتجملها منهج الفن لأجل الفن! قلتُ: لقد ظلم الرجل المرأة بنشره الثقافة الذكورية، وبتسفيهه لفعل المرأة بلا معنى، فهي إذا تزيَّنت وتجمَّلت، قال: اهتمت بجسدها أكثر من عقلها. وإذا اهتمت بعقلها، قال: لم يؤتها الله جمالاً، فلم تجد غير طريق العقل. وإذا نزعت للاهتمام بمظهرها، قال: إنما تفعل ذلك من أجلي. وهو مع ذلك، يتبعها، ويتمناها، ويبذل من أجلها الغالي والنفيس. ومن أجمل ما قيل في الأنثى ما قاله أبو الطيب الوشاء: «وأين ظرف النساء وحُسنهن، من غيرهن، وأين ملاحة سلامهن، وحلاوة كلامهن، ومستحسن مداعبتهن، ومحبوب معاتبتهن، ومليح مراسلتهن، لا سيما إذا شين هواهن بالغيرة على مُحبِّيهن، والتدلل على متعشقيهن، وصددن من غير زلل، وهجرن من غير ملل، وهنَّ والله في كل أحوالهن، القائلات بأفعالهن، وصالهن ختل، وصدّهن قتل، وهنّ المالكات للقلوب، السالبات للعقول،

إذا خلون مزحن، وإذا ظهرن نظرن، فقتلن بلحظ عيونهن، وصرعن بكسر جفونهن، وأحيين بقولهن الكاذب، ووعدهن الخائب، فلا شيء أحسن من مطلهن، ولا ألذ من خلف وعدهن، وقد استحسنت الشعراء ذلك منهن، ومدحته في كثير من الأشعار فيهن»!

تعليم الرومانسية

تمرّ مؤسسة الزواج في السعودية بانتعاش، على الرغم من ارتفاع معدلات الطلاق، فهناك في المقابل ارتفاع في معدلات الزواج، وفي الأعراس الجماعية.

تشكل الأعراس الجماعية ظاهرة تدل على أن مؤسسة الزواج في السعودية مركزية في النظام الاجتماعي، مقابل أفول وهبوط في معدلات الزواج في أوروبا.

في بعض الأفلام الحديثة تطرح فكرة الزواج كعبء على الفرد، وكأنهم يعيدوننا إلى زمن انتشار الآراء «الوجودية»، التي سادت قبل أكثر من نصف قرن في العالم العربي.

الزواج عقد بين الطرفين، لتأسيس بيت وأسرة ومسكن، ومن ثم العيش المشترك على المنشط والمكره.

وإنجاحه الدائم يحتاج إلى مثابرة وصبر. وقد سعدتُ بخبر لطيف عن «تعليم الرومانسية»، جاء فيه أن «فتيات جدة المقبلات على الزواج خلال الصيف الجاري انخرطن في دورات تأهيلية لتعلم الرومانسية وفن إدارة الحياة استعداداً للدخول رسمياً في الحياة الزوجية. وينعقد البرنامج الذي يستهدف المقبلات على الزواج بمقر الجمعية الخيرية للتأهيل في حي الزهراء بجدة، ويناقش في دورته الـ 14 مواضيع تهم الفتاة المقبلة منها تحديد سمات الشخصية، سحر التواصل، رومانسيات زوجية، الحوار ودوره في إثراء الحياة الزوجية، ودورة في المكياج والعناية بالجسم، وموعد نسائي، وفن الطبخ والديكور».

قلتُ: وهذه بادرة عظيمة، أن يتعلمن أساسيات الزواج، وأن يعرفن حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهنّ وبخاصةٍ أن السعوديات يتزوجن وهنّ صغيرات مقارنة بمعدلات سنّ الزواج في الغرب أو حتى في العالم العربي.

والمطلوب أن يتعلّم الرجل أيضاً الرومانسية، وأصول

اللبس، وأساليب العيش مع امرأة، وطرق الحوار معها، وأن يجعل من زوجته صديقته في سفره وفي إقامته.

الكثير من السعوديين لديهم وجه أمام أصدقائهم، ووجه آخر أمام زوجاتهم. هناك سفر محافظ مع الزوجة، وسفر آخر عابث مع الأصدقاء. أن تكون الزوجة هي الصديقة في المحافظة والعبث، في الحل والترحال، في المنشط والمكره، هو أساس مفهوم الزواج الإنساني، الناجح في كل أنحاء العالم.

إن التدريب على الرومانسية لا يجب أن يقتصر على الفتيات فقط، بل آمل أن تؤسس دورات مماثلة للشباب الذين يتزوجون وهم صغار في الغالب، لا يعرفون من النساء إلا قريباتهم. لم يتعاملوا مع امرأة بشكل عاطفي وبحبّ حقيقي من قبل. جعل الله الزيجات كلها رومانسية وناجحة.

«البوية»!

أيها السيدات والسادة... أنا لا أتحدث عن نوع جديد من الأصباغ، في ظل ارتفاع نسبة التعمير في بلداننا الخليجية، يمكن أن يحقق لوناً جميلاً، وآثاراً أقل سلبية للبيئة، ويمنع الأطفال من العبث بالجدران، خربشة وكتابة ورسماً.

بل أتحدث عن ظاهرة ترسم لها مكاناً في مجتمعاتنا، حتى بات الحديث فيها بين الفتيات ظاهرة لا يمكن حجبها بغربال كوننا «أحسن ناس»، فشمسها «السوداء»، لا يمكن تغطيتها بأيدينا التي ندعو فيها صباح مساء قائلين: «الله لا يغيّر علينا».

و«البوية» أيها الكرام، هي أنثى، ولو تجاوزاً، على اعتبار تسجيلها عند الولادة، لكنها باتت تميل إلى البنات، وتسترجل في الطباع والملابس، وتمارس سلوك

الشباب، بما فيه استهداف الفتيات في المدارس والجامعات. «بوية»، تأنيث بوي (BOY)، وأنثت، لأن الفتاة التي تبتغي سلوك الأولاد، في مشيتها، وملبسها، وتدخينها (مع أن التدخين منتشر في صفوف البنات السعوديات بشكل كبير طبقاً للإحصائيات)، وتحرشها بالفتيات.

أين شاعرنا الكبير، عبدالرحمن رفيع، الذي تغزل بالبنات، ليرى كيف تتعاطى «البويات» من الإناث مع البنات؟! هل كان حينها سيقول:

«غمض عيونك تصور بلدة ما فيها بنات.

الشواطئ خاليات والشوارع خاليات والمجالس خاليات.

فتح عيونك وقولي مثل شنهو هالحياة (...)

من حكيهم من ضحكهم يضحك اللؤلؤ يتناثر بالمئات.

ومن سحرهم تنسحر دنيا بكبرها.

هم الساس وتاج الراس وكل الناس.

وهم جنة الماضي والحاضر واللي آت.

وش كثر ثم إش كثر كانت لولا البنات، كريهة هالحياة».

يبدو أن الأنثى غارت من الجنس الثالث الذي جعل الذكور يميلون إلى الإناث، ووفق انسياقها في دروب المساواة مع الرجل، نشأت ظاهرة الجنس الرابع، فكانت «البوية».

«البوية» هذه المرة، قبيحة المنظر... تزكم الأنوف، وتدمر البيئة، وتسمح هذه المرة للأطفال بخربشات متسخة على جدران المجتمع!

الفصل الثاني

شخصيات من وحي المرأة

«النساء السعوديات... قادمات»!

مها المنيف

ابن عاشور... نصير المرأة!

كثيراً ما يطرح الإعلام الآراء والأحكام والفتاوى التي يطلقها بعض الدعاة والتي تقيّد حرية المرأة وتحدّ من حركتها. لكننا ننسى أن للمرأة أنصارها من العلماء والأئمة المسلمين. في هذا المقال سأقف على آراء علّامة كبير هو الإمام الطاهر ابن عاشور (فقيه تونسي ولد في 1978 وتوفي في 1972) الذي أنصف المرأة وأنار طريق كرامتها، ومنحها حقوقها الشرعية التي كفلها لها الإسلام، واعتدت عليها القبائلية والتقاليد.

هل قرأت المرأة أو الرجل، على حد سواء قوله: «إن للمرأة حق الرضى بمن تتزوجه وليس لوليّها أن يجبرها على زوجٍ لا ترضى به. إن المرأة رفيقة للرجل ولذلك سمي كلاهما زوجاً لأنه شفع للآخر، وهي حليلته في البيت، وكلاهما مأمورٌ بحسن العشرة، وبينهما حقوق

مشتركة، فللرجل على المرأة حقوق وللمرأة على الرجل حقوق. إن تصرف المرأة في مالها كتصرف الرجل. إن اعتبار المرأة في المجتمع الإسلامي كاعتبار الرجل على الوجه الذي لا يخرجها عن أحكام الإسلام وآدابه الخاصة بالنساء. إن الذي يجب ستره من المرأة الحرة هو ما بين السرة والركبة عن غير الزوج، وما عدا الوجه والأطراف عن المحارم. والمراد بالأطراف الذراع والشعر وما فوق النحر. ويجوز لها أن تُظهر لأبيها ما لا تظهره لغيره مما عدا العورة المغلظة، وكذلك لابنها، ولا يجب عليها ستر وجهها ولا كفيها عن أحدٍ من الناس. ففي الموطأ قال مالك: لا بأس أن تأكل مع غير ذي محرم على الوجه الذي يعرف للمرأة أن تأكل به».

هذه بعض الآراء لابن عاشور، حاولتُ من خلالها أن أبيّن أن الفتاوى التي تعارض حركة المرأة، وتهدد عملها في مجالات متاحة تحمل تحيزاً دافعه نفسي واجتماعي وقبلي، وليس رأياً بني على دليل شرعي، بل هو التحريم الاجتماعي الذي يشير إليه ابن عاشور قائلاً: «وقد

تفاوتت عصور المسلمين وأقطارهم في كيفية ما أبيح لهم من احتجاب المرأة تفاوتاً له مزيدٌ مناسبة لأحوال الآداب والمعارف الغالبة في عامّتهم وفي نسائهم».

يحيل الشيخ الكثير من الآراء الخاصة بالمرأة إلى الضغط الاجتماعي الذي يوجّه الفتوى الخاصة بالمرأة. وشاهده على هذا، انتقاد القرآن للجاهليين الذين يئدون المرأة ويرثونها كرهاً، ويعضلونها، حيث انتقد وبشدة العرب على فعالهم تلك، واليوم تعود جاهليةٌ من نوعٍ جديد تحاول أن تشلّ حركة المرأة تحت ذرائع الفتاوى ودعاوى التدين، وهم إنما يضعون بتشددهم هذا سدوداً أمام حركة نصف المجتمع والإنسان شعروا أو لم يشعروا!

إن أنصار المرأة في الفكر الإسلامي كثر، منهم الشيخ عبد الحليم أبو شقة، والشيخ الطاهر الحداد، والشيخ ابن عاشور، والشيخ يوسف القرضاوي، وغيرهم، كثر من الذين لم يتركوا المرأة فريسة هذه الفتاوى التي تأكل مصير المرأة بأنيابها الحادة والقاسية. وإذا أردنا أن نذكر النصير الأول للمرأة فإنه النبي، عليه الصلاة والسلام، الذي كان شريكاً للمرأة في البيت، وكان

يخصف نعله، ويقوم في شأن أهله، ويلاطفهم ويمازحهم، محبة وتقديراً للمرأة ودورها.

بعض العرب اليوم لا يختلفون عن الجاهليين في تعاملهم مع المرأة، بل يشتركون معهم إلى حدّ التطابق والتشاكل والتشابه، والأخطر أنهم يُلبسون الدين أفعالهم هذه!

الطاهر الحداد ... «المرأة أمّ الإنسان»

إن أي إطلالة ولو عجلى على الآيات القرآنية التي تتناول طريقة تعامل العرب مع المرأة، تبين طبيعة الاضطهاد الذي كان يمارسه العرب مع المرأة. تأمل مثلاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾، [النساء: 19] ولا تنس النهي عن العضل وعن الوأد، وسوى ذلك من الآيات التي تحرّم التعامل العنيف مع المرأة. لهذا، كان القرآن بكل جدارة أكبر نصير للمرأة العربية والمسلمة، حررها من العبودية الجائرة، والطغيان الاجتماعي الذي دمّر كينونتها. لكن ما أكّده القرآن لم يطبقه المسلمون والعرب بحذافيره. لهذا، لا تزال المرأة تُضطهد وتُظلم، والنبي عليه الصلاة والسلام كأنه استشرف هذا الخطر حينما ردد وهو في آخر لحظات حياته: «خيركم خيركم لأهله»، كانت تلك الجملة من آخر رسائله لأمته.

لكنني أستبشر بأية محاولة لتحرير المرأة من الطغيان الاجتماعي، وقد اطلعتُ على كتاب جميل للنهضوي والعالم التونسي الطاهر الحداد، وهو من روّاد التأسيس لفكرة ربط الدين بالمقاصد، ومن العلماء الذين شكلت المرأة جزءاً رئيساً من مؤلفاتهم وخطاباتهم. عنوان كتابه: «امرأتنا في الشريعة والمجتمع». يبدأ الكتاب بالعبارات التالية: «المرأة أمّ الإنسان، تحمله في بطنها، وبين أحضانها، وترضعه من لبنها، تغذّيه من دمها وقلبها، وهي الزوج الأليف تشبع جوع نفسه، وتُذهب وحشة انفراده، وتبذل من صحتها وراحة قلبها لتحقيق حاجاته وتذليل العقبات أمامه، وتغمره بعواطفها فتخفف عليه من وقع المصائب والأحزان».

هذا الوصف الجميل والرومانسي للمرأة من عالمٍ جليل مثل الطاهر الحداد جديد على الخطاب الإسلامي، لأن الخطاب الديني التقليدي لا يكفّ عن لمز المرأة، فهي ضعيفة النفس، وسهلة الإغواء ولا تملك قرارها بنفسها، بل هي موضع الفتنة، والمربوطة بسطوة رجل أو

رجال، حتى هُضمت حقوقها واعتُبرت من سقط المتاع. لم تتطور معاملة المرأة لكأنهم يمارسون نفس جاهلية العرب حينما كانوا يرثون المرأة كما يرثون الشاة والبعير والناقة، أو على حد تعبير الحجاج بن يوسف ذلك الطاغية حين قال: «المرأة يُستمتع بها ولا يُستمعُ لها».

أو تأمل ذلك القول السخيف:

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة

هذا لنا، ولهنّ منّا أن يبتن على جنابة!

لكن الطاهر الحداد ينقلب على سلوكيات العرب والمسلمين التي ورثوها من العادات والتقاليد القبلية والاجتماعية، ويربط تاريخ نهوض الإسلام بدور المرأة المحوري فيقول: «لو تأملنا موقف المرأة مع المسلم العربي الذي جاهد لفتح الممالك وانتصر لرأينا، إنها تبعث في صدره روحاً جبّاراً هو سر نجاح تلك المدنية فوق ما كان لها من معارف علوم الدين وفنون الأدب نظماً ونثراً».

المرأة ليست هامشاً على متن المجتمعات كما يريد

لها المتشددون أن تكون، بل هي جزء من المتن، فهي أم الرجال، لكن ما الأصل الذي بنيت عليه هذه الرؤية المتطرفة التي تزهق حقوق المرأة؟

يجيب الطاهر الحداد: «لو نرجع إلى أصل ميولنا في إنكار نهوض المرأة لوجدنا أنه منحصر في أننا لا نعتبرها من عامة وجوه الحياة إلا وعاءً لفروجنا، غير أننا مهما بالغنا في إنكار ما للمرأة من حق، وما لنا في نهوضنا من نعمة شاملة، فإنها ذاهبة في تيار التطور الحديث بقوة لا تملك هي ولا نحن لها رداً... وبدلاً من هذا العناد الذي لا ينفع شيئاً، كان يجب علينا أن نتعاون جميعاً على إنقاذ حياتنا بوضع أصولٍ كاملة لنهوض المرأة الذي هو نهوضنا جميعاً، وبذلك نكون قد طهّرنا الماء الصالح للحياة قبل أن يتحول إلى عفونةٍ تهدمها وتبيدها».

هذا الكتاب ألفه الطاهر الحداد سنة 1930. لقد مضى عليه نحوٌ من قرن، ولكن كل الأفكار التي يدعو إليها في كتابه لا تزال حلماً من أحلام المرأة العربية، فمن هو المتسبب في تعثر مشروع نهضة المرأة يا ترى؟

هالة... ضد الرجل السعودي

حضور المرأة السعودية الإعلامي ليس جديداً، فمنذ أن نشأت وسائل الإعلام السعودية والمرأة جزء من حراك الإذاعة والتلفاز والمطبوعات، غير أن الثورة التي أحدثتها التقنية صقلت شكل المشاركة التي تساهم بها المرأة. وأستدل هنا باسم إعلامي نسائي بارز، أعني به الزميلة هالة الناصر، رئيسة تحرير مجلة «روتانا». استطاعت هالة أن تتنقّل وتنقل معها المجلة إلى مفازات صعبة، كما ساهمت في تكوين رؤية إعلامية مختلفة عن المجلات المتداولة في الخليج.

تروي الناصر قصة الصعوبات قائلةً: «كنت متشائمة في بداية عملي من إمكانية تولي المرأة منصباً مرموقاً في الصحافة السعودية، وكان هذا خطأ مني، واكتشفت أن المجتمع السعودي لا يبخل على المرأة أبداً. وفي عهد

خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبدالعزيز، أتيحت فرص كبيرة وعلى مستوى عالٍ أمام النساء، ودخلت المرأة في مراحل التنمية بجميع أشكالها، وسوف نرى لبناتنا مستقبلاً أفضل. فقد كنا في السابق مقيَّدين، والآن أصبحنا أقوى وأكثر مشاركة من ذي قبل».

لم تتوقف هالة عن إضفاء هالة، بل هالات، على تصريحاتها الإعلامية المتفجرة، والتي تتداول على نطاق واسع بوصفها آراء مثيرة فعلاً. تقول من ضمن ما تقول: «إنها شهرزاد وتنتظر شهريار اللبناني». وتصف الرجل السعودي بأنه يعاني من تركيبة مفقودة، إما شكلية أو معنوية، فهو في نظرها : «من الممكن أن يكون وسيماً ولكن لا يمشط شعره، هذا من حيث الشكل، ولكن معظم الرجال السعوديين سطحيون من حيث المضمون، ولدى السعودي عيب في الاعتقاد أنه «الذكر الوحيد في الوجود»، ويتعامل بهذه النرجسية، ويستهين بالمرأة ويجهل التعامل معها إطلاقاً، كما يفتقر إلى البروتوكول في التعامل مع المرأة، وكلامي ليس ادعاءً بل ناتج عن خبرة في تعاملي مع الرجل السعودي».

هذه هي هالة الناصر، صحافية مراوغة ومحاربة شرسة، لا تفتأ تخوض حروباً شرسة في معركة هنا وأخرى هناك. من جهة فهي تقف مع المرأة ضد الرجل، ومع المرأة ضد السلطات الاجتماعية، ومع المرأة ضد التقاليد. وتصرّح علناً بنقدها لهيئة وزيّ الرجل السعودي، وتبحث عن زوجٍ لبناني أنيق، وتعتبر أن السعوديين يفتقرون إلى البروتوكول في التعامل مع المرأة. هل بقي في الإثارة مزيد هالة؟!

مها المنيف... السعوديات قادمات

أعلنت الدكتورة مها المنيف في صحيفة «التايم» الأمريكية عن قدوم حقيقي للسعوديات، وعن تكسيرهن للكثير من العقد، وعن قدرتهنّ على الإبداع في مجالات كثيرة... من التعليم إلى الطب إلى الفيزياء.

تتمتع الدكتورة مها المنيف بخبرة واسعة وسجل مهني مميز من خلال عملها في مجال طب الأطفال، حيث حصلت على شهادة بكالوريوس في الطب وبكالوريوس في الجراحة من كلية الطب في جامعة الملك سعود سنة 1984، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأميركية عام 1991 وعملت كطبيبة مقيمة متدربة في اختصاص طب الأطفال في مستشفى الأطفال التابع لجامعة «ألاباما» في «بيرمنجهام» حتى عام 1994.

حازت في ذلك العام على شهادة المجلس الأميركي لطب الأطفال وتم تعيينها زميلة للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال في أكتوبر (تشرين الأول) 1994، ومن ثم أصبحت زميلة لمرحلة ما بعد الدكتوراه في مجال الأمراض المعدية، حيث عملت في مشفى «نيوهافن» التابع لجامعة «ييل» بين عامي 1996 و1999.

تحمل الدكتورة مها أيضاً العديد من الشهادات من جامعات الولايات المتحدة الأميركية وكندا، حيث منحتها رابطة الأخصائيين في مكافحة العدوى والأوبئة (APIC) في كندا شهادة «البورد» في مكافحة العدوى عام 2000، كما حصلت على شهادة «البورد» الأميركي في مجال إهمال وسوء معاملة الأطفال، وشهادة البورد الأميركي في مجال مكافحة الأمراض المعدية والأوبئة عند الأطفال (ABID)، كما حصلت على زمالة في جمعية الأمراض المعدية عند الأطفال (PIDS) في 2001.

تشغل الدكتورة مها المنيف العديد من المناصب الوظيفية، حيث إنها مستشارة في طب الأطفال العام، واستشارية في مكافحة العدوى والأوبئة في قسم طب

الأطفال في قسم الشؤون الصحية بالحرس الوطني (KAMC-R) منذ عام 1994 وحتى الآن، كما تشغل منصب المدير التنفيذي للبرنامج الوطني للأمان الأسري في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى عملها أستاذاً مساعداً في طب الأطفال في جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الطبية (KAMC-R).

هذه سيرتها العلمية. أما فعالياتها الاجتماعية، ودفاعها عن المرأة، وعن الطفل، فأكثر من أن تحصر. صرّحت أن النساء السعوديات قادمات بأعمالهن، وأن المرأة السعودية ستكون فعّالة بعملها وعلمها.

ليست القصة أن نحبس أنفسنا في صراع بين فريقين، هل تتحرر المرأة أم يغلق عليها في بيتها؟ بل المسألة لدى مها المنيف أن تكون المرأة فاعلة بوصفها إنسانةً قبل كل شيء. والنقلة التي تعيشها المرأة في مجالات المعرفة كبيرة، بدليل وجود دكتورة عالمة بكل الإبداع الذي تقوم به، هي الدكتورة مها المنيف.

المجاهدة في سبيل الله...
سامية العمودي

الحياة معركة كبرى، يجاهد الإنسان فيها على كل صعيد. يجاهد نفسه، ويجاهد في حياته، ويكافح الضعف، والتردد، والخنوع. ولذلك صُنف الجهاد في معركة الحياة، جهاداً أكبر، فيما الجهاد بالقتال، جهاد أصغر.

الدكتورة سامية العمودي، استشارية النساء والولادة في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، خاضت بامتياز معركة الجهاد الأكبر، ببطولة وإباء وإيمان وصبر.

عندما أصيبت الدكتورة العمودي بسرطان الثدي، اعتبرت ابتلاءها بالسرطان «رسالة حب من الله»، وكتبت عن حالة معرفتها بالقصة: «لحظة عصيبة عشتها. أخذتُ أدور في أرجاء الغرفة. أدعو الله بصوتٍ عالٍ أن يلهمني

الثبات(...) دعوته، ناجيته دامعة: هل تحبني إلى هذه الدرجة حتى ترسل لي رسالة حب كهذه؟».

بعد مواجهة المصيبة بثبات، قررت المجاهدة أن المعركة ليست فردية، فسبعون في المئة من بنات بلادها يكتشفن إصابتهن بالسرطان في وقت متأخر، ما يجعل إمكانية مكافحته أصعب، مقارنة بثلاثين في المئة من ذات الفئة في الولايات المتحدة. أخذت سامية الموضوع الشخصي، بشكل عام، وأحالته إلى قضية وطنية، وحملت على عاتقها مسؤولية التوعية والإرشاد، وهذا ما جعلها إحدى أهم عشر سيدات في العالم، تم تكريمهن في واشنطن في مارس (آذار) الماضي، فذهبت بعباءتها السوداء، وحجابها الأسود، تزيِّنهما بالشريط الوردي الذي يرمز إلى معركتها وجهادها. وعندما زارت السيدة الأميركية الأولى لورا بوش السعودية لتفعيل الشراكة الأميركية العربية لمواجهة سرطان الثدي، أهدت الدكتورة سامية قرينة الرئيس الأميركي، حجاباً يحمل شعار حملة مكافحة سرطان الثدي، تأكيداً على هوية المرأة السعودية، واعتزازها بانتمائها وثقافتها، لتقول لها

إننا مستعدون للتفاعل مع العالم، والتعاون معه، دون أن نتخلى عن تراثنا، وأصالتنا، فكانت الرسالة واضحة، والهدف مشتقاً من اسم الدكتورة، سامياً ونبيلاً. ألم أقل لكم إن الدكتورة سامية، مجاهدة حقيقية؟!

عبد العزيز المسند... شيخ النساء

«شيخ الحريم» هو الراحل الشيخ عبدالعزيز المسند رحمه الله.

إن الذين كانوا يلمزون الشيخ السمح... بهذا اللقب، لم يعرفوا أنه، غفر الله له، كان يمتثل للتوجيه النبوي في الرفق بالنساء، والسماحة، فأصبح مؤمناً هيناً ليناً. غير أني وجدت الكثيرين قد اعترضوا على هذه التسمية، بشكل يبدو في ظاهره دفاعاً عن الشيخ الراحل، لكنه يحمل في طياته الكثير من التأزيم من ربط التسمية بالمرأة! كانت التعليقات الغاضبة في مجملها محملة بأزمة المرأة، لجهة أن الارتباط بها مشكلة وربما مصيبة، عياذاً بالله بعض الصحابة كانوا يكنُّون ببناتهم، ولم يكن لديهم حرج في ذلك، ولا انتقاص من قدرهم. بل إن بعض الذين رزقهم الله إناثاً في بداية حياتهم

الزوجية، ثم رزقوا بأولاد بعد ذلك، لم يلجأوا للعادة الاجتماعية التي تكني الأب بالابن الأكبر ولو كانت البنت أكبر منه، تعزيزاً لكنيته بأبي فلانة. لا شك لدي بأننا نعاني من أزمة في التعامل مع المرأة واتخاذ موقف منها، محوره القلق وعدم معرفة أين يجب أن يكون المرء من المرأة بين الصلة والاحترام، والحرج والابتعاد. أعرف كثيرين يحسون بأزمة عندما يرون صديقاً يرافق زوجته أو أخته أو حتى أمه في سوق أو مجمع تجاري أو حتى في قارعة طريق، فتجدهم يصدون عن صاحبهم حتى لا يحرجوه! أي حرج في أن تسلم عليَّ ومعي أمي أو أختي أو زوجتي، بل وما الذي يمنعك أن تلقي السلام أيضاً في حضرتي؟! أذكر أننا في سني الشباب كنّا نتلعثم إذا أردنا أن نتصل بصديق في منزله حين نسمع الصوت المستقبل أنثوياً، فيسودنا الارتباك، وكأننا قد أذنبنا، ومن النادر أن نلقي السلام الطبيعي، حتى لو كانت تلك الأنثى على الطرف الآخر من الهاتف عجوزاً تصنف ضمن القواعد من النساء اللاتي لا يرجين نكاحاً، ولا تتطلع إليهن الهمم!

صعصعة في الأمم المتحدة

صعصعة بن ناجي بن عقل، هو أول مدافع في العالم عن حقوق المرأة. هذا العربي لم يتعلم في هارفارد، ولا درس في كمبردج، ولا أجيز بالرواية من رينيه كاسان (1887 ـ 1976) حين كان يكتب الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في صياغته الأخيرة...

ومن المؤكد عندي أنه لم يقرأ جان جاك روسو (1712 ـ 1778)، ربما لأنه لا يعرف اللغة الفرنسية، ولا يعرف حديثه عن البدائي السعيد والحق الطبيعي والعقد المدني، وأشك شكاً يبلغ شكي في استمرار بلير رئيساً للوزراء(وقد غادرها إلى غير رجعة)، بأن يكون صعصعة سمع بـ «السيداو» (اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة). ليس لصاحبنا صعصعة هذا أي علاقة بأي من هؤلاء ولا بغيرهم! لم يترجم له سوى

الأصفهاني في كتابه الأغاني، «هو تغلبي عربي عاش وتوفي قبل ظهور الإسلام، وكان جد الشاعر الأخطل غياث بن غوث التغلبي صاحب النقائض الشهيرة مع الفرزدق وجرير». كان صعصعة يفدي الموؤودات من حر ماله، واستمر 60 عاماً يجوب الصحراء، بحثاً عن فداء الموؤودات، ويذكر الأصفهاني أنه «نزل صدفة في مضارب أعراب فسمع صراخ امرأة تستغيث وتستعطف زوجها، أن لا يئد ابنته فسأل الرجل عن سبب عزمه على قتل الطفلة، فقال له: إنها شدة الفقر، فعرض عليه أن يشتري منه حياتها بما معه من بعير وحتى بالناقة التي كان يركبها، فقبل الأب وعاشت البنت»! صعصعة «يطق بمصبع» لأبي الشباب «بيل جيتس»، في ما يتعلق بالكرم، والهبات، والتبرعات، فالحمد لله على كل حال، وقد قارنته بـ «جيتس»، حتى لا أقارنه بأغنيائنا وتكون المقارنة «بايخة»، كما تقول العرب العاربة. من هنا يُلح من يعرف صعصعة من المتحدثين باسم حقوق الإنسان في العالم العربي على أهميته، وأنه انطلق هنا من حق الإنسان في الحياة ودفع من أجل ذلك كل ما يملك، دون أن تكون له أية علاقة بمن افتداه أو بمن دفع له إلا أنه

يشعر أنه إنسان مثله. رحم الله صعصعة مناضلنا التغلبي الكبير، فقد شرفنا بعد مرور ستة عشر قرناً على وفاته باعتباره أول مدافع عن حقوق المرأة وحق الحياة في العالم... شرفنا صعصعة بالبذل من أجل الحياة في الوقت الذي يفشلنا آخرون، يقتلون بالمجان، استناداً إلى فتاوى، تراجع أصحابها، لكنهم يريدون أموالاً من أجل تراجعهم، وبالملايين الإسترلينية!

سيدة جمال الأخلاق!

هل يسوغ أن تستسلم المرأة لحالات التسليع والعرض التي يمارسها الإعلام؟!

في ذات الفترة التي فازت فيها اللبنانية ريما فقيه بلقب ملكة جمال الولايات المتحدة الأمريكية، انطلقت مسابقة ملكة جمال الأخلاق في السعودية في نسختها الثالثة. تقول خضراء آل مبارك لصحيفة الحياة «إن مسابقة هذا العام التي تنطلق الاثنين المقبل ستشهد إضافة مسارات جديدة، منها إقامة سلسلة محاضرات «توعوية» وورش عمل حول ثقافة حقوق الإنسان، وستقام بالتعاون مع الهيئة والجمعية، بهدف رفع سقف معايير المسابقة، لتكون أكثر دقة وشمولية».

قلتُ: وهذه الفعاليات أهم وأجدى للمرأة والمجتمع عامةً من حالات عرض المرأة وتشييئها وتحويلها إلى

طريقة ووسيلة للإعلان والاستثمار. خاصةً أن المجتمع يمرّ بحالة تأزّم أخلاقي سواء رضينا أم أبينا. مدار الكثير من الكوارث التي يرزح تحت سطوتها المجتمع «سوء الأخلاق». لكأن الأخلاق غابت لصالح الأساليب البربرية والوحشية. المشكلة أن بين يدينا حديثاً هو غاية في الوضوح والدلالة حين قال عليه الصلاة والسلام: «الدين المعاملة»، هكذا... بدقة واختصار. الدين=المعاملة.

الجميل في المسابقة ـ حسب ما صرحت به السيدة خضراء ـ أنها تهدف إلى أن تكون الحصيلة للمشتركات ثقافيةً كاملة، ليتمكنّ من الخوض في الحياة العامة، ولهن قدرة على نشر الثقافة الحقوقية في المجتمع النسائي، وتمكين الفتاة من معرفة حقوقها منذ نشأتها، وبالتالي تكون سيدة جمال الأخلاق نموذجاً متوازناً.

هنيئاً للنساء السعوديات هذا الرقيّ في إدارة المسابقات، والرقيّ في الأفكار التي تبنى عليها المسابقات. هذه المسابقات التثقيفية بين النساء باتت نادرة. التنافس على لقب متصل بالأخلاق فعل مدني

بامتياز. بقي الناس طويلاً يظنّون أن إعطاء المرأة فرصة المنافسة والتحرك يعني أنها ستتحول إلى فتاة غلاف. لكأن الحرية والتمكين حصرا في قضايا الصورة والجمال والغلاف والسلع.

أظنّ أن النساء السعوديات اللواتي مررن خلال السنوات المائة الماضية كنّ نماذج للسلوك المهذب والأخلاق العالية، ولئن لم يكتب لتاريخهنّ مدوّن فحسبهنّ أنهنّ ذهبن إلى الرفيق الأعلى وهنّ على مستوى كبير من الرقي والأخلاق. هذه المسابقة ليست على طريقة المسابقات الإعلانية الرخيصة، بل على مستوى الفعل المدني الرحب، وهذا سبب احتفائي الكبير بها وصدق من قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا!

الفصل الثالث

عملها... قيادتها... اختلاطها!

«أما دكاكين النساء فإنها عديدة، أعرف منها في ذلك التاريخ المبكر خمسة في شمال بريدة».

محمد بن ناصر العبودي

من «البسطة» إلى «الكاشير»!

من الذي يمكنه أن يطمس تاريخ مشاركة المرأة في التجارة؟! إن أي قراءة ولو عجلى لأي كتابٍ عن تاريخ المجتمع السعودي تجعلك تقع بوضوح على حضور المرأة في المتاجر بائعةً، وصاحبة رأس مال. وبتصفح أقرب كتاب تاريخ للأسر أو العائلات تقرأ عن مداينات على رجال يملأون بشوتهم اضطرتهم تصاريف الحياة إلى الاستدانة من نساءٍ تاجرات منّ الله عليهنّ بمالٍ وفير لم يكن محصوراً عليهنّ بل تحرك لخدمة المجتمع المحيط بهنّ. وإذا ذهبت إلى أي مكانٍ قديم سترى النسوة وقد فرشن بُسُطهنّ لبيع بعض السلع التي صنعت في البيت من ألبسة. و«البسطة» هي بضاعة صغيرة تفرشها المرأة في السوق أو على الرصيف للبيع حيث لا تجد مالاً لاستئجار الدكاكين، فتستعيض عن الدكان ببساط صغير. وما أكثر البسطات التي تعمل فيها النساء في مختلف

المدن السعودية؛ في بريدة والرياض وجدة وسواها.

يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتابه «مشاهدات من بريدة» ذاكراً شيئاً من تاريخ تجارة النساء: «أما دكاكين النساء فإنها عديدة في بريدة أعرف منها في ذلك التاريخ المبكر خمسة في شمال بريدة ولا أدري عن بقية جهاتها الأخرى، ولا يبيح العرف ولا العادة للمرأة أن يكون لها دكاكين بين دكاكين الرجال، وليست لهن دكاكين منتظمة في سوق كما يكون لأهل المهن والصنائع، وإنما تفتح المرأة، كما قلنا، بابها في بيتها وتكون عندها أشياء قليلة من البضائع المتعددة وغالبها صغيرة، وتكون أرخص مما عند الرجال لأنها أقل والكلفة عليها من المرأة أقل، وأكثر ذلك ظهوراً أنها لا تدفع أجرة لدكانها لأنه جزء من بيتها، ويقف الرجال أمام دكان المرأة من الخارج من جهة الشارع فيتحدثون إلى المرأة في ما يتعلق بالسلع التي عندها ولا يرون في ذلك بأساً».

الأكيد أن مهنة «الكاشيرة» هي ذاتها مهنة صاحبة البسطة، حيث كل امرأة هي كاشيرة بسطتها، ولم ير

الأقدمون حرجاً في ذلك، مع أن ذلك التاريخ عاشه خيرة علماء عصرنا وعلى رأسهم مفتي الديار الأسبق الشيخ محمد بن إبراهيم، ولم يكن قبض المرأة نقود سلعة من رجل محل ضجيج اجتماعي، بل كان شيئاً سائغاً، خاصةً أنها تعرض بضاعتها في السوق وأمام الناس لا في الزواريب والخلوات، وكذلك المرأة في كاشيرات مراكز التموين ستكون أمام الملأ وليست مختلية بأحد من العالمين.

رياضة البنات ليست جريمة

ما المشكلة في ممارسة المرأة للرياضة؟

يطرح عادة موضوع «خشية الفتنة» في وجه إتاحة المجال للمرأة بممارسة الرياضة في المدارس، مع أن إمكانية الفتنة موجودة حتى في ذهاب المرأة إلى بيت أهلها، أو إلى المسجد، أو حتى إلى السوق. فإمكانية الفتنة وحدها ليست مبرراً كافياً لإلغاء رياضة البنات في المدارس. ولا يوجد نص ديني يمنع المرأة من الرياضة، لكن أظن أن المناخ الذي ساد اجتماعياً في الخليج ضد تعليم البنات ألقى بظلاله على طرق تعليمهن، فخلت بعض المدارس من أدوات الرياضة، ولم تعد المرأة تمارس الرياضة الضرورية التي تحميها من الأمراض والسمنة، في ظل انتشار كاسح لأمراض السمنة الخطيرة والتي تهدد صحة المرأة الخليجية بشكل واضح. أعجبني

تقرير نشر في إحدى الصحف وجاء فيه استغراب طالبة خليجية من عدم وجود حصص للرياضة في مدارسهن، إحدى الطالبات تقول: «جسدي يميل للسمنة، ودائماً يأخذني والدي للسير معه في الأماكن المخصصة للمشي من أجل تخفيف وزني، فالجلوس الطويل في الفصل، ثم في المنزل من أجل المذاكرة سبّب لي تراكماً في الشحوم، وباستمرار يكلفني والدي بمطالبة إدارة المدرسة بأن تخصص لنا بعض التمارين الرياضية، ونحن نستغرب لماذا تُمنع الرياضة في مدارس الفتيات الحكومية منعاً باتاً بينما في بعض المدارس الأهلية توجد رياضة الصباح علاوة على بعض الأنشطة الرياضية مثل المسابقات الحركية أو كرة السلة؟».

من حق الطالبات ممارسة الرياضة، والادعاء بوجود فتنة في ذلك هو ترهيب غير منطقي؛ فبإمكان المدارس وضع صالات مغلقة، وفرض ألبسة محددة، وبإمكان الوزارة فرض أنظمة محددة تراها مناسبة، لكن ليس من حقهم حرمان الطالبات من الرياضة. وبخاصة أن شبح السمنة وأمراضها صار يطاردهن.

إحدى الأمهات السعوديات مثلاً ذكرت أن الرياضة كانت موجودة في السابق. والدة طالبة في المرحلة المتوسطة درست في جامعة الملك سعود فترة الثمانينات الميلادية قالت: «وكانت هناك فرق لكرة السلة والطائرة من الطالبات»، وأضافت: «كانت هذه الفرق تؤدي تدريبات كما يتطلب الوضع، وكان الأمر طبيعياً ولم نكن نفكر هل هو ممنوع أو غيره، وكان الموضوع مأخوذاً ببساطة، والنشاط يجد إقبالاً كبيراً سواءٌ من المشاركات أو المتفرجات، والسؤال: لماذا كل هذه التعقيدات في هذا الوقت الذي يفترض فيه أننا نتقدم للأمام؟ مادمنا نعرف مدى انعكاس الرياضة الإيجابي على صحة بناتنا فلماذا كل هذا الوقت من السماح أو الرفض؟». كان المجتمع يستمتع ببراءته الأصلية، لم تكن التوجهات الأيديولوجية هي التي تسير أنظمته التعليمية. إن رفض فئات من المجتمع لتعليم المرأة ساهم في تحويل مدارس البنات إلى بيت للمحظورات والممنوعات. إن حظر الرياضة ومنع البنات من مزاولتها فيه خطر صحي وثقافي على المدى الطويل. وفي الإسلام نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة، وكانت تسبقه

حين ثقل مع تقدم السن. ولا يجب أبداً أن ننصاع لثقافة الفتنة ما دامت الشريعة الإسلامية لم تحرمه، ومادامت القوانين لم تحظره، ومادام النفور منه لا يتجاوز مستوى التقاليد والعادات التي يجب على الناس أن يهزموها بثقافة العصر وتقدم الزمن.

إن المسألة ليست بأن نفتتح أندية رياضية للبنات. وإنما أن نمنحهنّ الحرية في ممارسة الرياضة في المحاضن الرئيسية لهن، وبخاصةٍ في المؤسسات التعليمية. وهذا هو المطلب. هناك مطلب صحي ووطني لممارسة الرياضة للمرأة، فهي رأسمال المجتمع بكل ما تحمله كلمة رأسمال من معنى.

مكمن الفتنة أم لب التنمية

معيار تفوق كل مجتمع يُقاس بمدى المساحة التي تتحرك فيها المرأة، وكلما ضاقت مساحة حركتها تخلف المجتمع وارتدّ إلى الوراء. فالمرأة ليست هامشاً، بل هي العضو الأساسي لأي مجتمع، فهي صنو الرجل وشريكه في مشوار الحياة، وهي المربية التي رعت البشرية.

في بعض الأساطير القديمة: كانت المرأة هي القائمة على شؤون البشرية، فتنازلت عن عرشها للرجل. والمرأة ليست ضعيفة، وإنما تضعف لتُشعر الرجل أنه قوي، وهي من خصائص المرأة منذ القدم، أن يذهب الرجل لتأمين القوت، وهي تبقى لإرضاع الطفل وتغذيته وحمايته من الدواب والسباع.

مسألة المرأة في العالم العربي، هي الخطاب الأساسي الذي لا يزال مهيمناً في مجمل ما تنتجه

المكتبة العربية، في الأدب والقانون، والحريات والفكر. ولا عجب، فالمرأة هي البوابة الرئيسية لدخول أي عصر جديد. والحق يؤخذ بالممارسة والجهد، وليس فقط بالمطالبة، بدليل تجارب الكثير من الدول العربية والغربية الناجحة في إتاحة المجال أمام المرأة لممارسة الإبداع والانخراط في تحريك الواقع. أستشهد بحديث أم الإمارات الشيخة فاطمة بنت مبارك، الرئيس الأعلى لمؤسسة التنمية الأسرية ورئيسة الاتحاد النسائي العام، في حوار معها خلال الآونة الأخيرة، رأت فيه أن المرأة مساهمة في مشروعات التنمية، وهذا كفيل بتكوين أجيال من الشباب القادر على المشاركة الفاعلة مستنداً إلى العلم والثقافة والروح الوطنية والعمل من أجل تحسين جودة الحياة الأسرية.

كما أعجبني في الحوار ربط الشيخة فاطمة للمرأة بالأسرة، ذلك أن البعض يحاول أن يتعامل مع المرأة منفصلة عن قيم الأسرة وتقاليدها، وذلك لغرض منعها من التحرك. بعض المتشددين يتوعدون المرأة المتحركة المشاركة في إدارة الواقع بالعنوسة الأبدية وبعزوف

الرجال عنها، وها نحن نشاهد الوزيرات مع أزواجهنّ مطمئنين، ولا معنى لذلك التهديد ولا يمكن أن يفسر إلا باعتباره لعباً على أوتار العواطف، لمنع المرأة من دخولها في الواقع.

كما تعتبر في الحوار أن المرأة الإماراتية جزء من خطط التنمية، تقول: «ومن دواعي سروري أن ابنة الإمارات لم تكن يوماً بمنأى عن خطط التنمية وبرامجها، فقد استطاع الاتحاد منذ انطلاقته وحتى الآن أن ينقل المرأة نقلة حضارية كمّاً ونوعاً أثارت إعجاب العالم».

بمعنى أن المرأة الإماراتية لم تكن مجرد هامش على متن التنمية، وإنما هي الرقم المهم داخل معادلات التنمية. اعتاد البعض أن يتحدث عن المرأة لجهة علاقتها بالتنمية على استحياء، وإذا كنا نسأل عن سبب فشل الكثير من خطط التنمية العربية، فإن السبب الرئيس هو استبعاد المرأة من الرؤى التنموية، وذلك بسبب الخوف من الاعتداء على العادات والتقاليد.

إن المرأة هي الأم، التي ولدت النبي عليه الصلاة

والسلام، وهي الزوجة، وهي البنت، فهي ليست عورةً، إلا لدى أهل الجاهلية الذين كانوا ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ❖ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: 58 ـ 59] إنه وصف القرآن لهيمنة التقاليد على الجاهليين الذين اعتبروا المرأة مجرد مكمن من مكامن الخطيئة، بينما اعتبرها الرسول، صلى الله عليه وسلم، جزءاً من التركيبة المدنية في خطابه الديني، وفي معاركه، وفي جمعه لهنّ والحديث معهنّ. كانت المرأة بالنسبة للرسول مشاركة في التنمية ومشاركة في تحريك الواقع، وتلك هي قمة التحضر والتمدن، وهذا ما نشاهده في خطط التنمية في الإمارات.

محامية كويتية في محكمة سعودية

الأحكام الإسلامية والشرعية لا تخصّ المرأة السعودية وحدها، بل تم توجيهها لجميع النساء. لهذا لا أعرف سبباً لازدواجية البعض ـ لا أقول الأنظمة ـ وإنما الضوابط التي نُسجت اعتباطاً واستمرّت على مر السنين. لا أعرف سر نشوء تلك الضوابط المتبعة التي لم تعد مقنعة. خذ مثلاً منع المرأة السعودية من مزاولة المحاماة. هذا منع اعتباطي بالتأكيد. ولعله خوف من مهنة «المحاماة» ذاتها التي لا يستوعب البعض أنها شبيهة بالوكيل الشرعي عن المترافع.

يخافون حتى من المحامي الذكر انطلاقاً من تحيّز مسبق من القاضي الذي يعتبر المترافع مداناً وكأنه قد نصّب نفسه «مدعياً عاماً». بكل أسف يجب أن نعترف أن عدداً غير قليل من القضاة نراهم في المحاكم وقد

خلطوا بين مهنتهم المتمثلة بالقضاء وبين مهنة غيرهم «الادعاء العام».

نحن أمام مهنة مقموعة. المحامون في المحاكم العامة بالذات يعانون من تعامل القضاة مع المحامين وكأنهم جزء من الدفاع عن الظلم، مع أن قوانين العالم كلها تكفل للمتهم توكيل المحامي مهما كانت نسبة التورط ومهما اتضحت أدلة إثبات الإدانة.

إذا كان هذا حال المحامي الذكر، فما بالك بالأنثى إن أرادت أن تكون محامية! على الرغم من وجود محاولات للترافع والتوكيل من قبل المرأة إلاّ أن مهنة «محامية سعودية» غير موجودة. نتذكر تجربة الترافع بالوكالات الشرعية لدى الناشطة سعاد الشمري، التي تشرح دائماً مستوى التنكيل الذي تتعرض له المرأة في حال توكيلها من قبل طرف من أطراف القضية. لكن هل اطّرد القضاء في رفضه لأن تكون المرأة المسلمة «محامية»؟

في السعودية استطاعت المحامية الكويتية ذكرى الرشيدي أن تترافع أمام «المحكمة الإدارية» في ديوان

المظالم في المنطقة الشرقية في قضية بين شركتين. وذكرت أن القاضي استوعب حضورها بصفتها «وكيلة شرعية». تقول: «لم أجد أي ممانعة من جانب القاضي الذي حضرت أمامه، والذي أعطاني كامل حقي في رفع القضية، من خلال تقديم كل التسهيلات المطلوبة وحقوقي القانونية كمحامية».

هذه المحامية الكويتية استطاعت أن تجد طريقها إلى ديوان المظالم، في محكمة سعودية، استطاعت أن تمثّل وكيلها الشرعي في المحكمة. ما الذي يجعل هذه المهنة أو هذا الترافع مباحاً للمرأة الكويتية دون المرأة السعودية؟ وبخاصةٍ أن المحكمة سعودية، والقضاة سعوديون، وكلهم يطبّقون القضاء الشرعي، فلماذا أبيح لذكرى الرشيدي ما تم منعه عن بقية النساء؟

المرأة... تقود السيارة

قيادة المرأة للسيارة، ليست شراً محضاً! لطالما سمعنا عن قصص بطولية، عن فتيات استثمرن إجادتهن لقيادة السيارة في السعودية من أجل القيام بأعمال بطولية؛ سمعنا عن الزوجة التي قادت سيارة زوجها بعد أن ارتدت شماغه حينما تعرض لأزمة صحية، ومرّت بسلام من أحد الطرق الرئيسة السريعة.

نفس القصة حدثت مؤخراً مع الفتاة ملاك فواز المطيري والتي لم يتجاوز عمرها الخمسة عشر ربيعاً، والتي أنقذت والدها وأخاها فايز، وثماني أسر كانت تحتجزهم السيول داخل سياراتهم من خلال قيادتها لسيارة عائلتها «الجمس»، ذات الدفع الرباعي، بعد اتصال هاتفي من والدها يطلب منها سرعة التوجه إلى المكان الذي كانت تحاصرهم فيه السيول والقريب من

سوق الأضحى. فانطلقت بالجمس واتجهت لتنقذ عائلتها وعائلاتٍ أخرى من موتٍ محقق!

تعلّم المرأة لقيادة السيارة عملية مهمة، مثل تعلمها لمهارات السباحة. رُبَّ يوم تكون فيه قيادة السيارة لها ضرورة يفرضها حدث معين، لا يجب على المرأة أن تنتظر قرار السماح بقيادة السيارة في الشوارع لتتعلم القيادة. وربما نشهد اليوم الذي يصبح فيه تعلم المرأة لقيادة السيارة إحدى المميزات التي تحثّ الخطّاب على التوافد نحو الفتيات، وستكون إجادة القيادة ضمن الـ CV المغري للرجل المتقدم للمرأة. وإذا كان بعض الفقهاء قد رأوا أن قيادة المرأة للسيارة من المحرمات، فإن إجادة القيادة من أجل الإفادة منها في نوائب الدهر ليس محرماً؛ من الذي يستطيع تحريم مسّ المرأة لمقود السيارة؟! في قصة ملاك التي سردتها جريدة الرياض أن ملاكاً قالت: «اتجهت إلى المكان الذي وصفه لي والدي والذي يبعد عن منزلنا مسافة نصف ساعة في وادي الحرازات لأرى سيارته غارقة حتى نصفها في مياه السيول فقمت برمي الحبل لهم وسحبتهم

إلى منطقة مرتفعة بعيدة عن مجرى السيول ورغم تحذير والدي بعدم الاقتراب أكثر من مجرى السيول إلاّ أن صوت استغاثة الأسر المحاصرة في المياه كان أعلى من صوت والدي، فتوكلت على الله وبدأت في سحب السيارات عن طريق الحبل أو بدفعها من الخلف وحمدت الله أن سخرني لأكون سببًا في نجاتهم». قلت: شكراً يا ملاك، أثبتِّ أن قيادة المرأة للسيارة مثل قيادة الرجل للسيارة، ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وإنما ضرورة تفرضها أحداث الحياة، وهذا هو الدرس الذي تعلمناه منك. وليت كل فتاة سعودية تستفيد من الدرس المهم الذي عرضِته على المجتمع... كل المجتمع!

في تحريم قيادة المرأة للطائرة

ركبتُ طائرة الخطوط البريطانية المتجهة من لندن إلى إحدى أهم بوابات الثقافة والاقتصاد في ألمانيا وأوروبا، فرانكفورت، ما إن صعدتُ الطائرة حتى سمعت من يحدثنا من قمرة القيادة، كان صوتاً ناعماً...

لا يمكن لهذه النعومة إلاّ أن تكون صوتاً نسائياً! نعم إنها امرأة! يا للهول، هل الكابتن، الطيّار، أنثى؟! رجعت لنفسي فاتهمتُ حصاتي، وقلتُ: لعلها مساعدة الكابتن، وليست الطيّار نفسه! لكنني صدمتُ عندما علمت أن الطيّار، طيّارة، وأن السائق امرأة، وأن القائد أنثى، وخفت على نفسي أن أشارك في الإثم، وأن أضرب معها بسهم في الخطيئة، وبخاصة وقد شربتُ تحريم قيادة المرأة للسيارة في صغري، فكيف بالطائرة؟! لا شك أن المنكر سيكبر بحجم الفارق بين السيّارة والطائرة،

عياذاً بالله. أردت أن أعبر عن احتجاجي على مشاركتي في الجرم، بوصفي مقوداً وراكباً في زمرة ركّاب السيدة الكابتن، ورأيت أني يجب أن أعلن عن مقاطعتي على الأقل من باب ارتكاب أخف الضررين، فوجدتُ أن ذلك سيجر عليّ ذيولاً من النكير والاستنكار. فإعلان الاحتجاج بعد ركوب الطائرة سيعده الإنجليز ضرباً من ضروب الإرهاب، وربما صنفوه محاولة اختطاف للطائرة، فتوصلتُ إلى أن المشاركة بالتحريم وقبول قيادة المرأة أخف ضرراً من الاتهام بالإرهاب، وبخاصة أن الأخير سيجر الوبال على أمة كاملة، ولا يتوقف عندي... اخترقت الكابتن «بيريس» الغيوم التي كانت تحيط بكل جوانب لندن بسهولة وحطّت بنا في مطار فرانكفورت، كأيسر ما يكون الهبوط... وعندما هممت بالنزول من الطائرة، نظرت إلى قمرة القيادة، وقلتُ لها بصوت خفيض: بيض الله وجهك على حسن القيادة... والله يعينك على الإثم!

السعوديات... قادمات

ليست القصة أن «تتحرر» المرأة أو أن تبقى «غير متحررة»! يبدو لي هذا النقاش قليل جدوى... فالمهم أن تنال المرأة «حقوقها» المكفولة بالشريعة والأنظمة الرسمية، كما أن المهم أن يتم الحد من «ظلم» المرأة، بعيداً عن تحويل المرأة إلى موضوع سجال بين التيارات المتنافرة، فالمرأة نتناولها كما نتناول قضايا الرجل والطفل، وكما نتناول قضايا أي جزءٍ أو مكون من مكونات المجتمع. لهذا لا يجب أن نقف عند الإرث «السجالي» بين التيارات في ما يتعلق بقضايا المرأة السعودية بالذات.

نشرت مجلة «تايم» تقريراً عن وضع المرأة في المملكة العربية السعودية والتغيرات التي تشهدها العلاقة بين الجنسين، مقترحةً على الرجل السعودي أن يبدأ

بتعويد نفسه على مشاهد لم تألفها عيناه من قبل؛كأن تتولى امرأة مقابلة المتقدمين إلى الشواغر الوظيفية، بحسب المجلة، وجاء في التقرير: «تعمل الحكومة السعودية على توسيع فرص التعليم أمام المرأة، كما تحاول الدولة تشجيع المرأة على الانخراط في صفوف القوى العاملة وتقوم برعاية مبادرات لحماية المرأة والأطفال ضد العنف المنزلي. وتدفع الحكومة مواطنيها إلى مناقشة فكرة «التمكين» التي كانت من المواضيع المحرمة بحيث كان تداول المفردة ذاتها ممنوعاً في الصحف. فحوى الرسالة أن النساء قادمات». قلت: نحن نعلم أن المرأة حضرت بقوة في مجال الأعمال والتجارة والطبابة والتعليم، ولم نشاهد السيناريو الذي كان الناس يرسمونه للواتي يتعلمن في المدارس، أو الجامعات، أو اللواتي يتجهن إلى الطب، بل على العكس ها هنّ في مكاتبهن وأماكن عملهنّ يسيّرن شركات تبحر سفنها في كل بحر، ويقمن بأعمال بحثية وعلمية جديرة بالاحترام.

ليست المسألة أن تحرر المرأة أو لا تحرر، أن تخرج من بيتها أو لا تخرج، فهذا نقاش يحدث عادةً بين

التيارات المتناحرة، والناس يحددون ما يختارونه دون أن يلجأوا إلى المتناحرين في السجالات الفكرية، بل المسألة أن تقوم المرأة بمعرفة حقوقها المكفولة «نظاماً» وأن تتحرك لنيل حقها على هذا الأساس بعيداً عن الانتماء أو عدم الانتماء لهذا التيار أو ذاك.

امرأة للبيع

كم مهر زواجك؟! هذا هو السؤال الذي يؤرق الشبان في السعودية، لأنهم ببساطة يرون أن مهر الزواج بالمرأة دخل في خانة الغلاء الفاحش. ويرى البعض، لا كثرهم الله (اجحدوها عاد يا السعوديات)، أن هناك ما هو أفضل من السعوديات بسعر أرخص! الناس الآن في حالة انقسام، بين من يزوج بناته بـ «ريال واحد» كما حدث مع مواطن فاضل، وبين من يزوج بناته بمهور خيالية تصل إلى مائة ألف ريال، بل أكثر! غالبية الشباب بطبيعة الحال من الموظفين العاديين، متوسط رواتبهم خمسة آلاف ريال تقريباً، وهم يريدون الزواج وتأسيس أسرة وإنجاب أبناء، انسجاماً مع حالة المجتمع التي تعتبر الزواج فرض عين لا جدال فيه، لا سيما للعشرينيين!

لهذا فهم يبحثون عن أي وسيلة للزواج بمهر مناسب، حتى تحول الحديث عن المرأة إلى حديث عن «سعرها»، ومن يزوج بناته بسعر مناسب يتهافت عليه الخطّاب، لأنهم يبحثون عن مواصفات معقولة بسعر جيد، وكأن الخاطب يريد أن يشتري «هونداي» أو «هايلوكس» فيتناول الناس اسم ذلك الأب فتسمعهم يتهامسون «فلان يزوج بناته بس بعشرين ألف»! لدينا مشكلة في فهم معنى الزواج أساساً، هل المرأة عبارة عن «شيء» مثله مثل «طقم أواني» أو درزن «فناجيل»؟ هل هي مجرد سلعة توضع في البيت لتكتمل الصورة، بعضهم يتزوج ليوفّر على نفسه مصاريف غسيل الملابس، وبعضهم يتزوج ليتمكن من دخول المطاعم والملاهي بسهولة ما دام ربّ أسرة، والبعض الآخر يتزوج لأن الناس يتزوجون، وممارسات المجتمع مع الزواج تبرهن على أن الناس يعتبرون المرأة سلعة، يريدون أن يشتروها بمواصفات محددة وسعر رخيص! لست مع غلاء المهور إطلاقاً، لكنني ضد طرح مسألة الزواج من المرأة على أنها صفقة تخضع لمقاييس الغلاء والرخص، بل أشجع أن يكون الزواج كما هو في

مفهومه الحقيقي، يبدأ من «المودة» ويتضمن إرادة الاشتراك على تحمل الحياة بأفراحها وأتراحها، لذلك أظن أن طرح غلاء ورخص المهور يدخل في إطار «تسليع المرأة».

المرأة ليست سلعة تباع وتشترى، ليبحث الرجل عنها من خلال «سعرها»، وإنما هي إنسان يتوق إلى إنسان يحبها ويحميها من أخطار الحياة ومتاعبها، تبحث عن رجل تقف معه ويقف معها، وأتمنى أن نقف ضد طرح المرأة كبضاعة رائجة في السوق، وأخشى ما أخشاه أن تتدخل وزارة التجارة أو الغرف التجارية لتحديد سعر مهر المرأة وكأنها «كيس رز» أو «قوطي حليب» مع أنهم لم يحددوا أسعار هذه السلع أصلاً!

امرأة... مجاناً

يحلو لأساتذة التسويق، ترديد جملة «تسويقية» باعتبار تخصصهم. وهي تشير إلى أن كل شيء في الدنيا، خاضع للتسويق، بداية من الأفكار والأيديولوجيات، وليس نهاية بكل أصناف المهن.

تذكرت ذلك وأنا أتصفح نبأ مواجهة بعض المأذونين (جمع مأذون، وهو من يجمع بين رأسين بالحلال)، في مصر، لكساد مهنتهم، وتردي سوق النكاح، ومهرجانات الزواج، والعزوف عن التأهل، بتقديم صنوف من الترويج، بينها الإعلان عن منح حبوب «فياجرا» مجانية، لكل شاب يعقد قرانه لديهم. قلتُ: والشاب هو الرجل الذكر في سن الفتوة، والقِران، هو العقد الذي بموجبه، يرتبط الرجل بالمرأة، شرعاً، ونظاماً، وعرفاً... أما «الفياجرا»، فهي رافعة الرؤوس، بعد أن كانت منخفضة، وفاتحة العيون بعد

أن كانت منكسرة، وجاعلة الأعناق مشرئبة، بعد أن كانت قصيرة، وهي في المجمل شهيرة، معروفة، والمعروف لا يُعّرف، كما في الأمثال. الإعلانات التي جاءت ترويجاً، لعمل مأذوني النكاح، في مصر، كان نصها: «اعقد قرانك واحصل على فياجرا مجاناً»، وهي بالتأكيد، ليست اندراجاً تحت بيت أبي الطيب القائل: «وكم ذا بمصر من المضحكات...»، بل هي امتثال واقعي لحاجة الناس، واعتراف صريح واضح لاستخداماتهم، ونزولاً عند شعار: «دلل زبونك، ومتّع عميلك، وبيّض وجهه، يوم تسود وجوه البعض». المأذون الشاب أحمد عبد الحكيم اعترف بأن بعض زملائه يقدمون الفياجرا للعرسان الجدد، كنوع من التشجيع لهم، لكنه أكد أن البعض يرفضون ذلك، ويعتبرونه جارحاً «لفحولتهم». قلتُ: جرحُ الفحولة ذنب عند العرب بخاصة، لكن هؤلاء، المجروحين في فحولتهم، قد يكونون تعاطوا مع الموضوع سِرّاً، نزولاً عند المثل المصري: «داري على شمعتك تئيد»، أي اخفض صوتك عند شمعتك حتى لا تنطفئ بأنفاس حديثك. لن تتوقف أساليب التسويق والترويج، ومن يدري؟ فربما نسمع أو نقرأ غداً: اعقد قِرانك عندنا، واحصل على امرأة مجاناً!

اهدموا الحرم لتمنعوا الاختلاط

عندما نقل لي بعض الزملاء أن منتسباً للعلم والدعوة يدعو لهدم المسجد الحرام وإعادة بنائه من طوابق متعددة لمنع الاختلاط؛ أقسِمُ أني ظننت أن الموضوع نكتة أفلتت من شهر الرسائل المجانية بعد نهاية العرس، أو أنها مبالغة ضخمة، لكني لم أتوقع للحظة أن يكون هذا الكلام حقيقياً حتى استمعت إلى المقطع على اليوتيوب بأم أذني إن كان لطبلتي أم أو أب أو خالة!

الحقيقة أن هذا المقترِح الجاهل يستحق ردة فعل تتوافق مع هذه الفكرة التافهة التي يقف لها شعر كل من يحمل حداً أدنى من تقديس لبيت الله الحرام!

إن هذا المقترح، أوضح مثال، وأبرز دليل على «اختباص» الأولويات، و«لخبطة» الموضوعات، وتحول

القضايا في أذهان البعض من قضايا ثانوية إلى قضايا أصلية، تحت تأثير فوران في دماغ هؤلاء، وافتراض أن كل أحد غيرهم، يصل الليل بالنهار وهو يخطط لمهاجمة الدين الذي لا يمثله إلا هذا المسكين وبعض من يرى رأيه، دون اعتبار لمخالفة غيره. أصلاً من غيره؟!

لأول مرة أعرف أن هناك من يحاول أسلمة «الهندسة»، بحيث تكون جزءاً من النظريات الهندسية المخصصة لتأسيس مبانٍ تحتوي على مخطط يمنع كل شكل من أشكال الاختلاط! هذا ما فات على المهندسين منذ «أوقليدس» وإلى اليوم. أن يكون المطاف مفصولاً، وأن توضع عدة طوابق إن اقتضى الأمر، من أجل منع الاختلاط. إنها فتوى عجيبة ظريفة، أن يحاول المتطرفون وضع رؤاهم عبر الأشكال الهندسية، فيلجأوا ـ حتى إلى الهندسة ـ من أجل منع اختلاط كل شيء.

يحدثني أحد الزملاء أنه شاهد برنامجاً كرتونياً على قناة إسلامية، من بطولة «الشوكة» و«الملعقة» و«المقص»، كان المقص يحب الحوار مع الشوكة، مع أنها أدوات جامدة! ومرةً نصحت الملعقة الشوكة، وقالت: «إن

هذا الحوار والحديث مع المقص فيه اختلاط لأنه ذكر وأنتِ أنثى، هذا عيب»!

ويشاهد الأطفال هذا البرنامج الكرتوني الذي يرسخ جزئيات صغيرة، ويكرس الفصل الذي وصل إلى حد العزل العنصري المرضي بين الرجل والمرأة!

من ناحية نفسية فإن كل مظاهر الكبت التي نراها منعكسةً على الطيش لدى الشباب السعوديين نَبَتَتْ برعايةٍ من مياه التشدد والتطرف. ولا نكاد نرى كل هذا الهياج تجاه المرأة في البلدان المنفتحة. يكفي أن أستدل بمقولة لعالم النفس فرويد الذي قال: «إن إخفاء البدن بصورة متزايدة يبقي حالة الهياج الجنسي في حالة تيقظ»! وهذا ما يشجع عليه الخطاب الديني المتشدد الذي يبدأ بالأنثى وينتهي بالأنثى! ويمر بهدم المسجد الحرام لمنع الاختلاط.

بطاقة نسائية في المحاكم

كيف هو وضع المرأة في المحاكم؟ حينما تأتي لتطالب بحق من حقوقها، أو لترفع قضية على مسيء لها، أو ربما لتخلع زوجها، يتعامل البعض معها على أنها من الكائنات المختلفة عن الرجل، أما إذا كان خصمها من الرجال ـ وهذا هو الغالب ـ فإن النظرة إليها تبدو من قبل البعض مستنكرة متعجبة، كيف لامرأة أن ترفع قضية على رجل، أما البعض الآخر ـ ولعلهم قلة ـ يظنون أن رفع المرأة قضية على رجل من علامات الزمان ومن كوارث بني الإنسان! لكننا نقرأ خطابات معتدلة من جهات قضائية تجاه المرأة، وعلى الأخص بعد التعديلات الإصلاحية التي شهدها نظام القضاء في المملكة، آخرها تصريح الشيخ إبراهيم الحسني، القاضي في مدينة بريدة، تحدث حول هذا الموضوع حيث قال: «إن المحاكم تتعامل مع

القضايا التي أطرافها نسائية وفق ضوابط شرعية ونظامية تحفظ لها حقوقها وإنسانيتها التي أقرها الله لها»، موضحاً أن المحرم ليس شرطاً في المحاكم، وأنه لا يطلب من المرأة إحضار محرم لها وإنما أحياناً يتم طلب المعرف في حال كون المرأة لابسةً للحجاب الكامل، بل ذكر الشيخ أنه في بعض المحاكم الآن مفتشات للمرأة إذا كانت تحمل بطاقة شخصية. قلت: وكم ظن البعض أن المطالبة ببطاقة شخصية للمرأة دعوة للفجور، بينما هي دعوة لتحقيق العدل، حيث يسهل على القضاة وعلى المؤسسات التعرف على المرأة نفسها، بدلاً من أن تحضر من تنتحل شخصيتها للإساءة لها، وها هو الشيخ يقر بجدوى هذه البطاقة وإن بشكل غير مباشر، ذلك أن البطاقة الشخصية تنهي مسألة «إحضار المعرّفين».

آن لمأساة المرأة في المحاكم أن تنتهي، وأن تحفظ حقوقها القضائية، وألا يتم التعامل معها بطريقة مريبة، وأن تصبح نداً حقيقياً للرجل، خاصةً أن القضاة الواعين أمثال الشيخ الفاضل إبراهيم الحسني يعرفون حجم

معاناة المرأة في المحاكم، لاسيما إذا ابتليت بأولياء يريدون الإساءة إليها ما أمكن، أو لا يرون أنها مخلوق يستحق الحياة بتفاصيلها كما الرجل!

خادمات سعوديات في المنازل!

أعجب كثيراً من النقاشات التي تدور في المنتديات السعودية ووسائل الإعلام تتحدث مستنكفة فكرة أن تعمل السعوديات خادمات في المنازل، وكأننا شعب ولد وتكون وخلق وهو ينتمي إلى دم أزرق وعرق آري.

ينسى هؤلاء أو يتناسون أن بيوت الموسرين قبل بضعة عقود كانت تعج بالسيدات الفاضلات السعوديات اللاتي كن يعملن في الخدمة والطبخ والعناية بالأطفال، وكنّ يحظين بالاحترام والتقدير، مع أنهن يبحثن عن عوائد عملهن ليعِلن أسرهن، حتى أن بعض البيوت المقتدرة كانت تتعارف على تسميتهن ببنات الناس. وينسى الرافضون لهذه الفكرة، أو يتناسون، أن الكبار من رجال الأعمال والتجّار بدأوا صغاراً، ولم يبنوا إمبراطورياتهم إلا بعد أن خدموا وعمل كثير منهم

بمهنة «صبي»، يحضر الشاي والقهوة، ويرتب المكان وينظفه، ويكون في الخدمة، متفانياً في أداء عمله، حتى ترقّى درجة درجة، وخطوة خطوة.

لم يكن صالح وسليمان الراجحي، ولا سالم بن محفوظ، ولا عبدالرحمن الجريسي، من كبار أهل المال والأعمال، ولم ولم يرثوا الثروات الهائلة من آبائهم، ولا أمطرت عليهم السماء أوراق «بنك نوت» من فئة خمسمائة ريال، بل بدأوا صغاراً، ولم يستنكفوا عن العمل والخدمة. دعك من هؤلاء وانتقل إلى موظفي الدولة الكبار، فهل كان وزراء مثل علي النعيمي، وعلي النملة، وعبدالرحمن التويجري إلا موظفين صغاراً، بدأ بعضهم في الصادر والوارد، وقاد بعضهم سيارة تاكسي، «كدّ» عليها وعرق وتعب، حتى كوّن نفسه، وطور قدراته، حتى أصبحوا رؤوساً في مجتمعاتهم، وقادة في ميادينهم؟! إن العجيب أن الذين ينتقدون أن تعمل السعوديات في الخدمة، يغفلون عن دول عظمى، تجد أن مواطناتها يعملن في الخدمة في البيوت، وعلى رعاية الأطفال، ويغسلن الملابس، ويغسلن الأطباق والصحون، ويطبخن

الطعام، بغية تعزيز الوضع الاقتصادي لأسرهن، أولم تروا في أميركا خادمات أميركيات، وفي فرنسا فرنسيات، وفي بريطانيا إنجليزيات، وفي كل بقاع الدنيا؟! فلماذا نرى أننا نختلف عن شعوب الأرض، وأجناس الدنيا؟! المشكلة أن فكرة استنكاف الناس عن بعض الأعمال، لا تجعلهم يستنكفون (الشحاذة)، فتراه يرفض أن يعمل بألف وألفين وثلاثة آلاف، لكنه لا يرفض أن يمد له محسن ولو من أهله وأقاربه بالألف والألفين والثلاثة...

الفصل الرابع

تطليق الراشدات وتزويج القاصرات

«الأنانية يمكن أن تكون سائدة ومفهومة عند الناس، لكنها لا يمكن أن تتسرب إلى الأبوّة والأمومة الصافية».

طفلة... بقيمة سيارة!

«مُسنٌّ زوّج طفلته من أجل شراء سيارة»! هذا هو عنوان الخبر المنشور في إحدى الصحف. صدمني الخبر وذهلت! خبر موثوق كتبه زملاء ثلاثة: عبد الله النهدي، عزيزة اليامي، وبدور العسيري، والتصريحات لقريب الأب المُسِنّ، تخيلوا، يزوّج طفلته لهدف مادي!

إذا كان الجاهليون يئدون بناتهم خوفاً عليهنّ من العار، فإن هؤلاء يزوّجون بناتهم القاصرات بحثاً عن «فشخرة» وشراء سيارة. أعلم جيداً كم هي مقيتة أنانية الإنسان، حينما يسير على مبدأ: «أنا ومن بعدي الطوفان»، لكنني أثق أن الأنانية يمكن أن تكون سائدة ومفهومة مع بقية الناس، لكنها لا يمكن أن تتسرب إلى الأبوّة والأمومة الصافية. في هذه الحادثة تسربت سموم الأنانية، وهذا هو سبب ذهولي، كيف تكون أنانياً، حتى

إنك من الممكن أن تبيع بنتك الصغيرة بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة!

أظن أن هذه الكارثة لها سببان، الأول والأساسي عدم وجود أنظمة وقوانين جادة لإيقاف هذا الزحف، زحف زواج القاصرات المحبب لبعض ضعاف النفوس، الذين يبتزّون الفتيات ويشترونهن كما تشترى الدواب، وأنا هنا اتفق تماماً مع الناشطة فوزية العيوني، حينما دعت إلى: «سن قوانين وتشريعات كفيلة بحماية حقوق الأطفال»، مُعتبرة أن الحد من التجاوزات المتكررة في قضايا زواج القاصرات يتم عبر الإعلان عن قانون عقوبات ضد مأذوني النكاح الذين يوثقون هذه الجرائم.

خطيب جامع الشافعي أبرز مأذوني النكاح في نجران الشيخ هلال بن أحمد آل رديف قال: «مأذونو النكاح لا يلتفتون في الغالب إلى عمر الزوجة، حيث إن تعليمات وزارة العدل تشدد على قضية عمل المرأة، وهل يقبل الزوج بمواصلة زوجته للدراسة ومن ثم عملها أم لا؟ وأن تركيز المأذون الشرعي ينصب على العلاقة بين الزوجين وتطبيق الشروط الشرعية واللوائح التي أقرتها

وزارة العدل المتمثلة في الشهود وحضور الولي والمهر ووظيفة المرأة وفحص المختبر. أما مسألة العمر فإن الشرع لا يلزم مأذوني النكاح بأخذ رضا الطفلة إذا كانت أقل من تسع سنوات، وعند ذلك يؤخذ رأي وليها الشرعي».

هذا نموذج على تردي الوعي بالإنسانية والأنظمة والتمسك بعادات وتقاليد وأدلة مرجوحة، وضعف كبير بقيمة «الطفولة» من أجل الإشباع الغريزي الحيواني.

السبب الآخر، هو سببٌ اجتماعي، فلو أنّ كل وليّ أمرٍ كانت لديه بذرة قليلة من «الإنسانية» والشعور بدواخل الآخرين، واحترام المرأة بوصفها إنساناً وليست سلعة، لو أن كل وليّ أمرٍ تملّكه هذا الشعور لقُضي على الظاهرة في مهدها، المشكلة أن ولاة أمور الفتيات القاصرات يرضون بمثل هذا الفعل، لأن العادات والتقاليد وماديات العصر البالية سمّمت المشاعر الإنسانية، فصار الأب يحب أرصدته البنكية أكثر من أولاده ومن بناته و من الناس أجمعين.

الناس على رأي واحد

يستعذب البعض جمع الآخرين على رأي شرعي واحد، وكأنه إجماع الأمة، وأبرز مثال على ذلك، الإلزام بتغطية وجه المرأة.

أفتى في جواز كشف وجه المرأة علماء كبار من أنحاء العالم؛ وعلى رأسهم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وقال بجواز كشف المرأة لوجهها الإمام مالك والشافعي وأبو حنيفة، وهي رواية لدى الإمام أحمد.

يقول الماوردي في الإنصاف (1/ 452) ما نصه: «الصحيح من المذهب أن الوجه ليس بعورة. وعليه الأصحاب. وحكاه القاضي إجماعاً».

لكأننا نختزل كل الآراء الفقهية التي عبرت عنها المدارس الفقهية خلال تأريخ الإسلام في رأي واحد، دون اعتبار لتنوع، أو تعددية تنضح بها كتب الفقه،

وبطون الكتب، وممارسة العالم الإسلامي من إندونيسيا حتى المغرب!

من حقك أن تأخذ برأي فقهي، لكن ليس من حقك أن تلزم الناس بهذا الرأي وتأطرهم عليه أطراً، وكأنك الناطق الرسمي باسم الله تعالى، أو الممثل الحصري للحقيقة!

أعبّر عن تضامني مع أي إنسان يمارس رأيه الفقهي والاجتهادي ضد الذين يحاولون أن يفرضوا آراءهم على الجميع، لأن مسألة كشف وجه المرأة مباحة لدى كثيرٍ من الأئمة والعلماء، بل هو رأي الجمهور من الأئمة، وكون المعمول به في دولة أو قُطر أو منطقة هو تغطية الوجه، لا يعني أن نساء المسلمين اللاتي لا يغطين وجوههن، فاسقات، سيئات، يمارسن بكشف وجوههن العهر، عياذاً بالله، كما هو لسان حال كثير ممن يجبر الناس على قوله.

إن قصة الصحابة الذين أمرهم النبي أن يصلُّوا الظهر في بني قريظة، فدخل عليهم الوقت قبل الوصول لغايتهم، واختلفوا إلى رأيين، يرى الأول أن قول النبي:

لا يصلِّين أحدكم الظهر إلا في بني قريظة، يراد به الحث على بذل الجهد في المسير، لا ظاهر النص، وعدم الصلاة حتى لو دخل الوقت إلا في بني قريظة. بينما الرأي الآخر، أن النبي أراد تحديداً أن تكون صلاة الظهر ولو أُخر وقتها، يجب أن تكون في بني قريظة، وإقرار النبي للرأيين، هو أبرز دلالة على سماحة الإسلام، وقبوله للتنوع، وإمضائه للتعددية.

فوا أسفاه على من يتمسح بمسوح الدين، وهو أبعد الناس، عن ممارسة سماحته، والأخذ بفسحته، وتحبيب الناس به!

حفلات طلاق

من عجائب العصر ـ وهي عجائب غير الصعود إلى القمر، والهبوط على المريخ، واكتشاف الذرَّة ـ أن الطلاق أصبح مثل الزواج في لذته ومتعته لدى بعض النسوة، بل غدت الاحتفالات التي تنعقد بمناسبة الطلاق أكبر وأضخم من الحفلات التي تخصص للزواج. وإذا صدّقنا النسبة المرعبة أن 60% من عقود الزواج في السعودية تتحول بعد فترات تطول أو تقصر إلى صكوك طلاق، وأن نفس الذين يحضرون حفل الزواج، هم ذاتهم من يتقدمون لحضور حفلات الطلاق، فإن هذه هي الأعجوبة التي أحدثكم عنها.

نقلت الصحف أن الزوجة السعودية غدير، ذات الستة والعشرين ربيعاً، احتفلت، ولم تكد تلتقط أنفاسها من شدة الفرح، بعد قبضها على صكّ الطلاق. وتروي

الفتاة لجريدة «الحياة» قصة نهاية حياتها الزوجية، التي كانت ثمرتها طفلة هي الآن دون الثالثة من العمر، فتقول: «حصلت على الطلاق بعد مرافعات وجلسات قضائية استمرت أربعة أعوام، وربما أكثر، أمضيتها بين الذهاب والإياب من المملكة، لحضور بعض الجلسات، وكنت أعيش أوقات الاختبارات في أوضاع نفسية مزرية، فيما طفلتي في منزل والدي». وتتابع غدير تصريحها وهي تتأهب إلى السفر، للاحتفال بيوم الطلاق، الذي دوَّنته ضمن المناسبات السنوية التي أدرجتها في التقويم السنوي: «حاول طليقي المراوغة والضغط علي، بأخذ الطفلة مني، بعد أن طالبت بالخلع، ولم أحصل عليه، وبقيت أعيش المرارة والحسرة الدائمتين، ولكنني انتصرت في نهاية المطاف، كما أن طفلتي معي. فهو لم يكن يهدف إلى العناية بالطفلة، بل يطمح إلى إذلالي فقط، فكان يتخلف دوماً عن الجلسات القضائية». قلت: هذه هي الأعجوبة أن غدير تسافر لتحتفل بطلاقها الذي تحول إلى عرس، ولا نستغرب أن تتحول أيام الطلاق إلى أعياد مهمة يعاد الاحتفال بها كل سنة. الجيد في تجربة غدير أنها تستفيد من تخصصها في علم الاجتماع لطرح

تجربة طلاقها على زميلاتها لدراسة الأسباب، بل ولوضعها كنموذج لحالة «تسونامي» الطلاق الكاسح، الذي يجتاح مجتمعنا، ويحتاج إلى دراسات اجتماعية ونفسية واقتصادية تحلل أسباب هذا الانهيار الأسري، بينما تنشغل المنابر بالحديث عن التفكك الأسري بالغرب! ويبقى السؤال: هل ستحاضر غدير في بنات جنسها، في أصول الاحتفال بالطلاق؟!

«توبيس» خاص بالمرأة

«هاتي معك من يعرّفك»! بهذه العبارة يبادر القاضي مخاطباً المرأة في حال ترافعت عن نفسها. والمعرّف هو: عبارة عن رجل يأتي إلى القاضي ليعرّف بالمرأة التي أمامه، فيقول: هذه المرأة هي فلانة بنت فلان، كما يسأله القاضي عن تفاصيل أخرى تتعلق بالمرأة التي أمامه.

إحدى المحاميات تقول إنها على الرغم من استخدامها للبطاقة الشخصية أمام القاضي واستعدادها لكشف وجهها ليتأكد القاضي من كونها هي التي في البطاقة اسماً وشكلاً، إلاّ أن القاضي ـ حفظه الله ـ رمى عليها البطاقة الصادرة من الأحوال التابعة لوزارة الداخلية لأنه لا يعترف ببطاقة المرأة الشخصية. بمعنى آخر؛ أن دائرة حكومية تحرّم ما تبيحه الدائرة الأخرى. أليست هذه ازدواجية؟!

قصتنا ليست في الازدواجية فقط، وإنما في «المعرّف» الذي يُطلب من المرأة إحضاره، وأحياناً يكون أكثر من معرّف، ليبدأ القاضي بتصديق المرأة. تخيلوا، تحضر المرأة عدداً من «الشهود» ومن ثم يطلب منها أن تأتي بأكثر من «معرّف» وربما طلب منها إحضار «معرّف» بـ «المعرّفين»، يعني تصل المرأة إلى حالة من التعجيز، بحيث لا تستطيع أن تترافع عن نفسها إلا بعد إحضار «توبيس» مليء بالرجال، ما بين شاهدٍ ومعرّف، مع أن البطاقة الشخصية تحل محل «التوبيس» فتصبح ثقةً معروفةً لدى القاضي.

ألقى القاضي بالمحكمة العامة بجدة عبد الإله العروان محاضرة رأى فيها أن: «ترافع المرأة أمام القضاء أمر واقع، ويعود إلى ثقافة المجتمع، والمرأة الوكيلة الشرعية موجودة منذ زمن». وقال: «إن هناك العديد من النساء وُكّلن للترافع في قضايا تخص الرجال». وقال العروان: «إن للقاضي الحق في طلب كشف وجه المرأة إذا شك أن التي تمثل أمامه ليست المعنيّة بالقضية، وهذا لا يعد سفوراً لكنه تعريف فحسب».

إذا كان للقاضي الحق في الكشف عن وجه المرأة لمقارنته ببطاقتها، فما الحاجة إلى مبدأ «التعريف» أو إلى «المعرّفين»؟ لماذا يعمل القضاء بمثل هذا المبدأ الذي يعطّل حقوق المرأة ويؤخر حصولها على ما تترافع من أجله، أو يؤخر البت في القضايا التي تدخل طرفاً فيها؟ هل يمكن للمسؤولين الإجابة عن سبب عدم قبول بعض القضاة ببطاقة المرأة الصادرة من وزارة الداخلية؟!

فعلاً: نحن الوحيدون في العالم الذين يشترطون على المرأة إذا أرادت أن تترافع عن نفسها أن تأتي بـ «توبيس» رجال ما بين شاهد ومعرف ومحرم ومرافق وسائق!

تناقض... بخصوص المرأة السعودية

فرحت كثيراً للتحسن اللافت الذي أحرزته السعودية في نتائج «المؤشر العالمي للفجوة بين الجنسين»، الصادر عن منتدى «دافوس»، المحدث عن تحقيق المملكة المرتبة 54 في مجال الرعاية الصحية... إنجاز، بتقدمها على دول متقدمة في هذا الصدد. وفي مجال التعليم سجَّلت المملكة أداء ممتازاً في سد الفجوة بين الجنسين إلى حد نهاية التعليم الثانوي، بل إنها احتلت المرتبة الأولى بين دول العالم التي لم تُسجِّل أي فجوة في مرحلة التعليم الابتدائي، والمرتبة الأولى مِن حيث الانخراط في التعليم الثانوي، لكن الفجوة بين الجنسين ظهرت كبيرة في الانخراط في الدراسة الجامعية والدراسات العليا لتحتل بذلك المرتبة 106. في موضوع ذي صلة، كنتُ ألقي محاضرة في جامعة الشارقة، بدعوة من النادي السعودي في الجامعة. كان الحضور في

معظمه سعودياً بين طلّاب وطالبات. كانت متعتي لا توصف وأنا أرى معرضاً ضخماً قام بجهود الشباب والشابات السعوديين في الجامعة، يتحدث عن سبعة وسبعين عاماً من الإنجازات السعودية. انتشر الشباب في النادي السعودي في المعرض كخلية نحل بين الضيوف، وقد أخذ كل منهم على عاتقه أن يتحدث عن هذه المنطقة أو تلك من السعودية، خصائصها المناخية والجغرافية، والثقافية. كيف كانت، وكيف أصبحت؟ بعد المحاضرة سألتني طالبة سعودية في كلية الطب: أرى الكثير من الرجال السعوديين الذين يصرون على ألا يعالج زوجاتهم سوى طبيبات، من منطلق ديني، وهذا جميل جداً، ولكن ألا يتناقض هذا مع أمرين، أولهما رفض الكثير من أولياء الأمور دراسة بناتهم للطب. وثانيهما إحجام الشباب عن الاقتران بالعاملات في المجال الطبي، سواء كن طبيبات أم ممرضات، أم اختصاصيات؟! يبدو الجواب سهلاً، وصعباً في ذات الوقت. ماذا ترون الإجابة بربكم؟ هل هناك ما يقال سوى أننا نمارس ازدواجية في المعايير، والتناقض في ما نتمنى وما يحقق هذه الأمنية؟

دعوة زواج عند إشارة مرور

لا تحتاج لتكون في الكويت؛ فقط أن تكون في الفترة التي تسبق انتخابات مجلس الأمة لتجد شوارع هذه الدولة الصغيرة مكتظة بلوحات إعلانات المرشحين كما هو الحال اليوم في البحرين، استعداداً لانتخابات المجلس النيابي في دورته الثانية بعد إعادة الملك حمد بن عيسى للحياة البرلمانية البحرينية، فأنت تجد دعوات الزواج مكتوبة على لوحات عند توقفك عند إشارات المرور، وبدعوة عامة، مع التأكيد على عدم قبول العانية!

ومن المفارقات أن هذه العانية التي عادة ما ينص على رفضها الداعون لزواجهم عبر إشارات المرور، هي أحد أهم أسباب التوجه إلى مقرات المرشحين الانتخابية قبيل الانتخابات عندما كانت توزع على

الحاضرين الكمبيوترات الشخصية المحمولة، والهواتف النقالة، وشنطات فيرزاتشي، وقوتشي للنساء، وربما ساعات ريموند ويل!

في الوقت ذاته تدير جهاز التلفزيون على قناة «الراي» الكويتية الخاصة فتستمع إلى الدكتورة فوزية الدريع وهي تتحدث عن سبب افتتان الناس بالماركات، معتبرة ذلك إحدى وسائل تفوق مرتدي الماركة على الآخر، بوسيلة لا يساهم في صناعتها بالتراكم أو التحصيل أو التخلق، بل بما توفر في جيبه أو جيب أحد المرشحين من المال، ليستميل أصوات القوم لانتخابه، وكأن شعار اللحظة:

رأيتُ الناس قد مالوا... إلى من عنده... مالُ!

بنطلون المرأة
بين التحريم والتجريم

لم يدخل علينا «البنطال» بسهولة، بل دار حول جوازه وحرمته جدل كثير، هل هو من تشبه النساء بالرجال؟! وهل هو من التشبه بالغرب قبل ذلك؟! ثم ألا يبرز المفاتن، ولو كان تحت العباءة السوداء؟! وإلى اليوم هناك فتاوى حول البنطال توشك أن توازي ذرات الرمال!

لكن الأكيد أن البنطال بات زياً شعبياً يرتديه مئات الملايين من البشر سواء أكانوا نساء أم رجالاً، أو حتى في منزلة بين المنزلتين، ولا يخلو من البنطلون الشهير بالفصحى بالبنطال دولاب سيد أو سيدة. معظم الشركات، حول العالم، تفرض البنطال زياً، ناهيك عن العسكرية التي ترى عدم ارتداء البنطال للمنتمين لهذا

القطاع جرماً كبيراً! ذلك على مستوى الرجال، أما على صعيد النساء فإن بعض الفتاوى تحدثت حتى عن عدم جواز ارتداء المرأة للبنطال أمام زوجها! والبعض الآخر رأى أن لبس البنطال من مسببات العقوبات ومن الموبقات، وتجلى الموقف الحاد من لبس المرأة للبنطال في الموقف المدوّي من الصحافية السودانية لبنى أحمد الحسين والتي قبض عليها بتهمة ارتداء ملابس «فاضحة» بينما كانت ترتدي بنطالاً، ولم تجد لبنى وسيلة لإثبات عفوية لبسها الذي ادُّعي أنه فاضح سوى ارتداء ذات «البنطال» حتى أمام القاضي، ونقلت وكالات الأنباء العالمية صورتها بالبنطال نفسه إلى أصقاع الدنيا ونواحي المعمورة. الحقيقة أن بعض القصص التي تحدث بيننا في العالم العربي، لا يمكن فهمها. ولو عرضت على شرقي أو غربي هذه القضايا التي نعتبرها فاصلة، لوضع يده على فمه محاولاً أن يداري ضحكته، فهل يمكن أن يكون البنطال لباساً فاضحاً؟! ماذا عن ملابس البحر، ذات الخيط والخط والتي جادت الموضة بموديلات تخلص بعضها حتى من الخيط والخط؟! هل يمكن أن

يكون البنطلون لباساً محرماً؟! القصة غالباً ما تكون جزءاً من صراعات فكرية وسياسية، ومحاولة الحصول على مساحات نفوذ، بفرض هذه القضية وذاك الزي، ومنع الناس من ذلك، مع أن القضية في حقيقتها قصة بسيطة، ولن تجد حرجاً لو وصفتها بالتافهة!

فقضية البنطال تحولت من فتوى فقهية، أو مسألة اجتماعية، إلى «قضية سياسية»، وعلى من احتقر البنطال أن يعلم أنه استخدم في مجال «التكتيك السياسي» لضرب المختلفين. والسؤال الذي يطرح نفسه ماذا لو أن لبنى الحسين حينما خرجت من بيتها لبست لبساً فضفاضاً هل سيستخدم لبسها الفضفاض كتكتيك سياسي لضرب المعارضين، أم هو قدر لابسات البنطال أن يتم جرّهن إلى المحاكم؟!

التذكرة... أهم من الزوجة

نقلت إحدى الصحف أن زوجاً سعودياً ترك زوجته في ماليزيا واستقل الطائرة كي لا تضيع عليه قيمة التذكرة، بعد أن تأخرت الزوجة في دورة المياه.

وأشارت الصحيفة إلى أن هذه الحادثة تشير إلى بخل الزوج، فعندما كان أهل الزوجة ينتظرون وصول الزوجين اللذين يقضيان شهر العسل في ماليزيا، استقبلوا الزوج بالأحضان، وانتظروا ابنتهم، لكن الزوج، قال لهم إنه اضطر أن يترك زوجته التي تأخرت حتى لا تضيع عليه قيمة التذكرة. الزوجة المسكينة عندما لم تجد زوجها بعد أن خرجت من دورة المياه، بقيت تنتظره، وظنت أن مكروهاً حصل له، ولم تعلم بما فعله زوجها الكريم، حتى اتصل بها أهلها بعد أن وصلت الطائرة إلى جدة، وأخبروها أن كرم زوجها جعله يفضل

عدم تضييع قيمة التذكرة، ولو ضيّع زوجته. الحقيقة أن هذا الزوج البخيل، لم يتعلم فن تغيير العادات، فالمفترض أنه بدلاً من أن يقدم على الزواج، سنّ نوعاً جديداً من أنواع الزواج الجديدة التي تظهر كل يوم كالفطر، وابتكر زواج أبو ساعة، فزواج أبو ساعة يعفيه من السفر، فأقرب مكان لا يمكن الوصول إليه سفراً في أقل من ساعة، وبالتالي ستسقط كلفة السفر ومصاريفه وسيحظى الرجل بالتوفير الوفير. كما أني أرى أن الصحيفة والزوجة وأهلها قد افتأتوا على الزوج المسكين، فوصفوه بالبخل، وهو منه براء، فلو كان الرجل بخيلاً، لسافر إلى ماليزيا بالنقل الجماعي، لا بالطائرة، لكنه كان كريماً، يعلم أن لا مصرف أفضل أو أبرك من أن تضعه في زوجك! ثم إن الزوجة يمكن استرجاعها، حتى لو طلبت الطلاق، ولكن التذكرة لا يمكن استرجاعها، حتى لو كنت تعرف أحداً يعمل في الخطوط!

بكاء إيجابي

«باختصار... جميييل. أبكيتمونا بكاءً إيجابياً». كانت هذه رسالة من أخي المهندس نبيل المعجل ضمن نحو مئة رسالة تلقيتها أمس، أنا وأسرتي، عقب بث حوار «إضاءات» مع الدكتورة سامية العمودي استشارية النساء والولادة، إحدى أهم وأقوى عشر شخصيات في العالم، والتي تحدثت فيها عن تجربتها الشجاعة في مواجهة سرطان الثدي، بثبات وإيمان وعزيمة ومحبة. وأقول محبة، لأنها اعتبرت إصابتها بالسرطان «رسالة حب من الله»، ومن الناس من يجزع من الرسائل، ومنهم من يهيم بها حباً، ومنهم من يقنط، فاختارت سامية المحبة لأنها «سامية»، والعلو لا يناسبه إلا الحب. اخترت رسالة نبيل لأتحدث عن الإيجابية، فالآلاف أصيبوا بالسرطان، شفانا الله وإياهم من كل مرض، لكن الذي ميّز سامية، أنها أرادت أن تكون أكثر فاعلية، فشمّرت عن ساعديها،

وسخّرت وقتها وجهدها واهتمامها لتكون عنصراً مؤثراً في مجتمعها، فأخذت في الحديث العام عن تجربتها في سبيل التوعية والتشجيع، وتعزيز الشجاعة، وتحفيز كوامن القوة، في داخلها، وداخل كل من يحتاج إلى جرعات من الصلابة للوقوف بقوة في وجه المرض، وطرح الضعف في معركة الحياة الطويلة وإن كان بعضها شرساً. تعلمنا من سامية، أن التفاعل لا يقتصر على ذات الإنسان المصاب، بل يمتد إلى أفراد عائلته، وهكذا جاءت تجربة ابنها عبد الله ذي الأربعة عشر عاماً، عندما وضع كتاباً صغيراً تحدث فيه بلغته بأسلوب يناسب من هم في عمره، عن موقف الابن من مرض أمه. بل إن ابنة الدكتورة سامية، إسراء، ذات الأعوام السبعة، وضعت هي الأخرى كتاباً رائعاً، عنوانه «أنا وأمي وسرطان الثدي»، تحدثت فيه برسوم طفولية وكلمات بريئة عن مرض أمها، ومراحل سقوط شعرها في أثناء تلقيها العلاج الكيماوي، وكيف أمكنها تجاوز هذه المحنة هي وأمها. هكذا تكون الإيجابية، فشكراً لسامية وعائلتها، وكفانا الله وإياكم الأمراض، وشفانا ومن نحب منها.

الرسول... محامي المرأة

هل يمكن أن يكون تعامل أكثرية المجتمعات الإسلامية ـ الذي نشهده الآن مع المرأة ـ تعاملاً مستمداً من الإسلام؟!

الكثيرون من بني جلدتنا يعاملون «الناقة» بأسلوب حنون أكثر مما يحنون على بناتهم؛ وتعزّ عليهم ويحبونها أكثر مما يحبون بناتهم. بل ربما كانت سياراتهم وأدواتهم أحبّ إلى نفوسهم من بناتهم، حيث يحبسونهنّ في البيوت، ويعاملونهن بازدراء، وتعتبر كل حالة ترفيهٍ للمرأة عبارة عن ترفٍ غير ضروري، بل هو خراب البيوت.

قبل سنوات أجرت قناة سعودية في أحد «المولات» الكبيرة في الرياض مقابلة مع مجموعة من الشباب العشرينيين الذين جاؤوا إلى المول للتسكع، وحينما

سألهم المذيع، هل تجدون غضاضة في مجيء أخواتكم هنا، انبرى أحدهم غاضباً محركاً بيده اليمنى «طاقيته» التي وضعها وسط رأسه على الثلث الأوسط من جمجمته، وقال: «لا... لا يمكن أن أدع أختي تأتي هنا، هذا مستحيل، ولا يمكن أن أسمح لأختي أن تأكل في مطعم»!... إلخ من المنهيات التي سردها وهو في غاية الغضب. مع أننا كلنا نعرف جيداً ما الذي يفعله الشباب في «المولات»، يحبسون أخواتهم في البيت، ويلاحقون بنات الناس! هذه هي عقلية أغلبية ساحقة من المجتمعات المتخلفة!.

لنمرّ على هذه الأحاديث الجميلة:

- عن عائشة: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعالي أسابقك، فسابقته، فسبقته على رجلي، وسابقني بعد أن حملت اللحم وبدنت فسبقني وجعل يضحك وقال هذه بتلك!». (رواه أبو داود).

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي، صلى الله عليه وسلم، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان النبي صلى الله عليه وسلم

إذا دخل ينقمعن منه فيسر بهن فيلعبن معي». (رواه البخاري في الأدب المفرد).

- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «خياركم خيارُكم لنسائهم». (رواه الترمذي وصححه الألباني).

- كانت صفية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وكان ذلك يومها، فأبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، وتقول: حملتني على بعير بطيء، فجعل رسول الله يمسح بيديه عينيها، ويسكتها... (رواه النسائي).

هذا هو أسلوب تعامل النبي الكريم مع نسائه، الحنان والعطف، والبعد عن كل كلمة جارحة، والرقي في الحديث والكلام. وكان وهو في سكرات الموت يردد «خيركم خيركم لأهله» كانت وصيته الأخيرة، لكأنه كان يخاف على المسلمين أن تهيمن عليهم التقاليد فيضرّون نساءهم، كأني به كان يخاف علينا مما وصلنا إليه!

الجوع الاستهلاكي

التسوق بالنسبة للمرأة بحد ذاته هدف. أما الرجل فالتسوق بالنسبة له وسيلة، بمجرد أن يجد بغيته يهرب من السوق بكل قواه. الكاتبة سونيا كوليسنيكوف جيسوب تحدثت في «نيوزويك» عن هذه القصة، في مقال عنوانه: «إنه عالم الرجال»، ذكرت فيه أن: «الرجال ينطلقون في رحلة تسوق مركّزين على هدف واضح ومحدد، وحالما يجدون ما يبحثون عنه يسعون بسرعة إلى الهروب من الحشود. أما النساء فيرضين بإمضاء ساعات في استكشاف المتاجر من دون هدف واضح». ونحن نعلم أن التسوق والشره بالتسوق خصلة أنثوية بالأساس، حيث تشتري المرأة كل ما هو فوق حاجتها من أجل الحصول على الرضا الذاتي، وهذا يسمى بـ: «سلوك المستهلك» حيث يحاول المستهلك إقناع نفسه أنه قادر على الاقتناء والتملك المستمر.

سلوك الرجل بالتسوق لا يشبه سلوك المرأة؛ يقول التاجر «دوبين»: «نحن نعرف أن توقعات الرجال ليست كتوقعات النساء وأنهم لا يتصرفون بالطريقة نفسها داخل المتاجر. يمكن للرجال أن يكونوا زبائن أوفياء جداً، مقدمين الدعم لماركاتهم المفضلة أكثر من النساء، لكنهم يميلون أيضاً إلى اعتماد مقاربة أشبه بمقاربة رجال الكهف في ما يتعلق بالتسوق».

أما رئيس تحرير مجلة «ذا رايك» المختصة بأزياء الرجال الكلاسيكية فيرى أن: «الرجال يحبون أن يصطادوا في حين أن النساء يحببن جمع الثمار»! بمعنى أن المرأة تشتري الجميل المتعدد، بينما الرجل يشتري على طريقة الصيد، ما لا يتوفر دائماً.

كان التسوق في السابق هو ذاته التسوق الذي نشاهده في الأفلام الكلاسيكية حيث تكون السلعة المرغوبة محددة ومعروفة بمكانها وسعرها. لكن مع اكتساح السلوك الرأسمالي لثقافات الشعوب وتوفر كل أساليب الإغراء على الاستهلاك تمكنت أمراض «الشره بالشراء» من جوارح الرجال والنساء على حد سواء، فأصبحت

العربات التي تلف في الأسواق مليئة بالسلع التي لن تستخدم. يشتكي أغلبية الناس من سوء التدبير المالي، ومن نفاد رواتبهم المتوسطة بسرعة مع انتهاء أول عشرة أيام من الشهر، لكنهم لا يراجعون سلوكهم الشرائي. لكن هذا لا يعني أن يكون الفرد مقتراً بخيلاً شحيحاً لا يمتع ناظريه أو عائلته، لكن في نفس الوقت لا يكون رهن خطط مالية تخضع لهيمنة الإعلان ولسطوة الإدمان على الشراء. إنه تطور ثقافي داخل ذهن الإنسان يحتاجه كل مواطن، ليتمكن من مد رجليه على قدر لحافه. والكلام على الاختلاف في سلوكيات الشراء بين الرجل والمرأة لا يعني أبداً تفوق جنس على الآخر، كل ما في الأمر أن المرأة جزء من شخصيتها وأنوثتها الاستعراض باللباس والذهب، لكن الرجل يحتاج إلى لباس جيد وجميل؛ متوافق مع حالة الطقس، هذا كل ما في الأمر.

التاريخ... من باب الرضاعة

دخل الدكتور عزت عطية التاريخ من باب الرضاعة، فهو صاحب الفتوى الخطيرة، الشهيرة، التي سارت بها الركبان، والتي يرى فيها أن مواجهة الاختلاط في العمل... تكون بإرضاع المرأة العاملة زميلها في العمل، منعاً للخلوة المحرمة، لكنه استدرك أن الموظف الذي عليه أن يرضع خمس رضعات مشبعات من زميلته في العمل، عليه هو وأمه بالزمالة، أقصد أمه بالرضاعة، وزميلته في العمل أن يسجلا ويوثقا الرضاع رسمياً، وأن المرأة، حينها، يجوز لها أن تكشف شعرها بحضور ابنها وزميلها!

قلتُ: الرضاعة متعذرة دون كشف ما هو أعظم من الشعر، هذا، برضعة واحدة، فكيف بخمس مشبعات؟! وبخاصة إذا علمنا أن شبع الكبير، يحتاج أضعاف الوقت الذي يشبع به الصغير، عفا الله عنك يا دكتور عزت.

وقد طار قوم من المفسدين بالفتوى، رغبة في كشف الشعور، عياذاً بالله، لكن الله رد كيدهم في نحورهم بتراجع الدكتور عطية عن فتواه، واعتذاره عنها... بعد أن أحاله الأزهر إلى لجنة تأديبية! عطية، يرأس قسم الحديث وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وقد قرر المجلس الأعلى للأزهر تفويض الجامعة إصدار قرار بوقف الدكتور عزت، صاحب الفتوى القضية، عن العمل وإحالته إلي مجلس التأديب، للتحقيق معه بخصوص الفتوى الغريبة. قلتُ: اعتذار الدكتور جاء بسبب الإجراء الإداري، وإلا فقد أشار إلى أنه استند إلى أقوال جمع من العلماء في جواز إرضاع الكبير، وكأنه يُلمحُ بأن قرار الوقف يجب أن يتجاوزه إلى غيره، مع أن العلماء الذين استند إليهم لم يُصرِّحوا برضاعة الكبير للصحف السيارة، ووسائل الإعلام التي تنشر الخبر بين العامة انتشار النار في الهشيم! ويبقى السؤال: ماذا نفعل بالذين اتبعوا فتوى الدكتور عطية قبل التراجع والاعتذار، هل نُعاملهم استناداً إلى الفتوى الأصلية، أم إلى فتوى ما بعد الإجراء الإداري؟!

«البحلقة» في النساء

هدّئ من روعك عزيزي قارئ الكتاب لن أتطرق إلى بحلقة الرجال العرب أو السعوديين بالنساء، ولا بحلقة النساء بالرجال، انطلاقاً من احترامي العميق للخصوصية السعودية، وللهوية العربية، وللأخلاق السعودية، ولدفتر العائلة، ولشجرة العائلة، بل ولـ «شرّاب» العائلة أيضاً!

سأتحدث عن بحلقة «بني الأصفر» من المستعمرين الإنجليز في النساء، التي أظهرت أن البحلقة ليست من أمراض الإنسان العربي وحده، بل من خواص الرجال والنساء عامة، خاصةً أن «المغازل» وصل حتى إلى الأربعينيين والخمسينيين، ولله في «الشيبان» شؤون، واسألوا ـ إن شئتم ـ عن الشيّاب المتحرشين في «المولات». الأخبار المغرضة، تقول إن الرجال في

بريطانيا يقضون ما يعادل سنة من أعمارهم، وهم يبحلقون في النساء، وإن النساء يمضين ستة أشهر من حياتهن وهن يبحلقن في الرجال. ووجدت الدراسة أن البريطاني، الذي يتراوح عمره بين 18 و50 عاماً، يقضي نحو 43 دقيقة في اليوم، وهو (يبصبص) في عشر نساء مختلفات على الأقل، في الأماكن العامة، وفي مقدمتها المخازن التجارية، والحانات والنوادي الليلية ومواقع العمل. عشر نساء ليست كثيرة، مقارنة بالبحلقة العربية التي تفوقت على الغرب، لأن البحلقة العربية لا يمكن هزيمتها، فهي مثل كل القضايا العربية الخالدة، التي تتمسك خلال بحلقتها في النساء بالثوابت المصيرية، ومبدأ الأرض مقابل السلام! النساء في بريطانيا يقضين 20 دقيقة في اليوم وهن يبلحقن في الرجال، أي ما يعادل ستة أشهر من أعمارهن، ويفضلن اختلاس النظر إليهم في الحانات والنوادي الليلية. الدراسة شملت 3000 رجل وامرأة قالت إن أكثر من 40% من النساء البريطانيات اعتبرن عيون الرجال العامل الجذاب الرئيسي عند البحلقة فيهم، فيما اعتبرت نسبة مماثلة

من الرجال جسد المرأة العامل الجذاب الرئيسي للبصبصة على النساء.

«عيون عن عيون تفرق»، خاصة أننا نفتقر إلى «العيون الزرق» لأن عيون الرجال العرب، والعبد الفقير إلى الله بينهم، سوداء كحبة زيتون منتهية الصلاحية، ما يجعل البحلقة إلى الرجل العربي لا يمكن أن تستند في جاذبيتها إلى العينين! والدراسة تذكر أن «البحلقة» غالباً ما تثمر عن «زواج» على عكس بحلقة العربان، الذين يغازلون ويدّعون حبّ من يغازلونهنّ ولكنهم لا يتزوجونهنّ لأنهم يبحثون عن «شريفات» لا يُبحلقنَ ولا يُبَحلَق بهنّ، ما يؤكد خصوصية «البحلقة» العربية. على أن أكثر ما أسعدني في هذه الدراسة أن أحداً من «العنجليز» الخبثاء لن يستغرب ما يفعله شبابنا بل وشيابنا من الجنسين، في مقاهي «نايتس بردج»، ولا في مراتع «تراكديرو»، ولا في ساحة «البيكاديلي»، من استعراض «ورزة خشم»، وعرض بضاعة، وتبييض الوجوه بمساحيق تجلب سواد الوجه!

اقتلها واغسل عارك

مع تطور الحرية في الإعلام أصبحنا نقرأ الأخبار العجيبة، والمثيرة للدهشة.

قرأت عن شاب عشريني قتل أخته رمياً بالرصاص! المؤلم أن هذا الشاب أراد كما يظن أن ينتصر للشرف، مع أن «جرائم الشرف» يفترض أن تكون انتهت بوجود الدولة. فإذا كان هناك خطأ فهناك شرع يحاسب ويحكم وهناك حكومة تنفذ وتعاقب، وليس من مهمة أي فرد من أفراد الأسرة معاقبة أحد لمظنة خطئه مع وجود دولة ونظام وأمن. وأزيدكم من العجب قصة بالخبر الذي يشير إلى أخ أطلق على أخته الرصاص لأنه يريد منها ترك مهنة «التدريس»! لأن عمل المرأة يجلب العار للعائلة، وهو يرى في عملها في حقل التدريس لنشر العلم «فضيحة»!

هل نحن حقاً في القرن الحادي والعشرين؟ ظننا أن العصر قد ساهم في التأثير على ثقافة البعض وعلى تطوير طريقة تعامله مع المرأة، لأن كل أنثى مهما صغرت سنها عبارة عن مشروع «أم» تريد أن تعيش وأن تتزوج وأن تنجب، البعض أيضاً يمنع بناته من الزواج إلا بمن يريد هو. البعض أيضاً يمنع بناته من إكمال التعليم الجامعي. وآخرون يمنعونهن من الخروج إطلاقاً من البيت إلى المطاعم أو الحدائق أو الأسواق! هل بالغت؟! بالتأكيد، لم أفعل! ولأن هذه الخلفيات والأجواء معششة في مجتمعنا.

لقد انتهج قاتل اختيه قاعدة: اقتلها واغسل عارك! ولو ظلماً وبهتاناً! كل تلك الأشكال الاجتماعية موجودة ونقرأ عنها كل يوم في الصحافة.

المجتمع ما زال ينظر إلى المرأة بعين الريبة والشك، تجد الشاب يعبث في السر في علاقات وغراميات لكن، ترُى لو اكتشفت أخته أنه هو على علاقة سيئة مع نساء هل ستقوم بضربه أو قتله؟ الأكيد أن الابن «الذكر» تعتبره ثقافة التخلف معصوماً عن

الخطأ وأنه مهما مارس من خطايا فإنه لا يخل بشرف العائلة!

أكثر الشباب يقومون بعمل ازدواجي عجيب، يغازلون ويضايقون كل نساء الناس ويقتلون من يقترب من نسائهم، أليست هذه هي الوحشية والتناقض؟ أليست هذه ذروة الأمراض الاجتماعية؟

نقترح على وزير التربية والتعليم إقامة ورش في المدارس لتعليم الأبناء احترام النساء وكيف يعاملونهن بعد أن أصبح الطفل الصغير يدير أخته الكبيرة ويضع نفسه وصياً عليها. نريد أيضاً من الدعاة وأصحاب المنابر إنصاف المرأة وإيقاف فاشية جرائم الشرف التي لو غزت مجتمعنا فإن النتائج ستكون مدمرة، فلا يحق لأحد معاقبة أحد إلا بالحكم والقانون وبتنفيذ الدولة، ونتمنى أن يكون هذا الحدث المؤلم آخر جرائم الشرف في المجتمع.

افصلوا «المسترجلات»

ترنّ في أذني كلمة «فصل» مراتٍ كثيرة كل أسبوع، بدءاً من فصل الموظفين، وانتهاءً بفصل الطالبات. تتراكم القضايا أمام ديوان المظالم، وفي الغالب يكسب الموظف أو الطالب قضيته ويعود إلى وظيفته مع تعويض باهظ!

لا أدري لماذا نتمسّك بثقافة «الفصل» ونطمس معالم الإنسان من خلال كرسيّه، بدلاً من أن نتحاور معه. كل من أخطأ في أي قضية بشرية منزعها نفسي أو مرضي وجسدي أحلناه إلى الفصل. وهي تشبه ثقافة سدّ الشوارع، واستبدال الإشارات بالدوارات. حلول وقتية آنية من دون اتجاه لصلب المشكلة وأساسها.

تأملتُ في لقاء في صحيفة «اليوم» مع وكيل جامعة الدمام لشؤون الفروع، الأستاذ الدكتور سعيد بن عمر

آل عمرو، وإذا به لقاء واسع طويل، مثل خطبة العيد، منوّع ومشكل وربما متناقض أحياناً، يهمني هنا السؤال المتعلق بظاهرة «المسترجلات» في الكليات، حينما سئل: كيف تتعاملون مع قضايا مخالفات التحرش من الطالبات المسترجلات؟

أجاب الدكتور: «أطمئن الجميع أن هذه حالات فردية لم تصل إلى أن تكون ظاهرة ونتعامل مع هذه الحالات بالتوجيه والإرشاد قبل اتخاذ أية عقوبة، وعند تكرار المخالفة تعتمد العقوبة على نوع المخالفة، فقد تكون إنذاراً أو استدعاء للأم، وقد تكون العقوبة هي الفصل من الجامعة لمدة فصل أو فصلين وإذا تكرر تفصل نهائياً ولم يتجاوز عدد الحالات أكثر من 5 طالبات في العام الواحد، وهنَّ في الأصل طالبات مهملات، ويؤخذ المعدل التراكمي للطالبة عند البت في القضايا المخالفة ونحن نؤكد على التوجيه والإرشاد ونحاول تعديل السلوك بقدر ما نستطيع، ولكن الجامعة حريصة أن تقدم التربية للجيل قبل التعليم. ولن نتردد في الحسم في بعض القضايا التي لا تتفق والأسلوب

التربوي الذي نتمناه لجيل المستقبل ومجتمعنا وقيمنا وما يأمر به ديننا الحنيف».

أحسب أن تخصيص مرشدات مختصات في علم النفس من أولويات الجامعات لإرشاد تلك الطالبات أو التعامل معهنّ بحكمة، لأنهنّ مهما شرقن أو غربن،فهنَّ جزء من مجتمعنا، وإزهاق مستقبلهن لمجرد ميول بيولوجية يمكن تعديلها فيه جناية على مستقبل طالبات كثيرات لديهنّ ميل إلى الفتيات، أثق أنها ظاهرة خطرة بلا شك، لكنها تحتاج إلى «علاج» وليس إلى «حسم» كما تفضّل الدكتور.

إن الفصل يفاقم المشكلة وها نحن نسمع بهروب الفتيات، وبظاهرة اتجاه الفتيات نحو تعاطي الممنوعات، ونسأل عن السبب، ويبدو أن جزءاً أساسياً من المشكلة انتشار «ثقافة الفصل» وغياب «ثقافة العلاج»!

اغفروا لبناتكم الزلات!

هل نغفر للبنات أخطاءهن بنفس مستوى غفراننا لأخطاء الأولاد؟! الإجابة ستكون بالسلب طبعاً، وذلك بسبب تحكم قواعد الجاهلية الأولى بالكثير من التصرفات الاجتماعية في السعودية؛ أن يتم التعامل مع المرأة بصفتها كائناً يجب أن يكون معصوماً. حتى في عصر الصحابة، وقعت النسوة في بعض المخالفات، فمنهن من وقعن ضحايا ضعف أمام النفس ونزواتها، ومع ذلك حرص الرسول، عليه الصلاة والسلام، على التعامل مع الناس بصفتهم يذنبون ثم يستغفرون، فيغفر الله لهم.

المشكلة أننا كمجتمع لا نستطيع تقبل توبة المرأة بعد ممارستها لخطأ أو ضعفها أمام رغبات لم تستطع الفكاك منها، فإذا عادت وتابت لا تجد إلا نظرات

الريبة والعتب الذي ربما يقودها إلى الانتحار، أو الهروب، ونحن نعلم أن لدينا أرقاماً مخيفة عن هروب الفتيات من البيوت، حتى الأرقام المخيفة لا تشكل كل الأرقام بل بعضها، لأن الكثير من البيوت صارت بالنسبة للفتيات كالسجون، جراء فرض الإقامة الجبرية، والتعامل مع إحداهن كوعاء جالب للخطيئة، من دون النظر إلى إنسانيتها.

القرآن فيه آيات كثيرة تنتقد هذا الشعور الغامض لدى الأب العربي الذي إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب... هذا هو سلوك البعض حتى بعد مرور 1400 سنة على العصر الجاهلي. أعجبتني حملة «أعيدونا إليكم» وهي حملة خاصة بالسجينات العائدات إلى المجتمع بعد قضاء فترة من الوقت داخل السجون، وقد أحسن من أسسها صنعاً. عائشة الحسن، الناطقة باسم الحملة، نقلت عن دراسة ميدانية «أن 60 بالمئة من العائلات ترفض استلام بناتهم العائدات»، ولفتت إلى أن الحملة تقوم بالتواصل

مع تلك العائلات وحثها على استقبال السجينة مع التأكيد على الجانب الشرعي في هذا الإطار، حيث أوضح مراراً المستشار في الديوان الملكي عبد المحسن العبيكان ضرورة أن يُفرض على الأسر فرضاً إلزامياً استلام بناتها من دور الرعاية بعد انتهاء محكوميتهن.

الإحصائيات التي تقول إن 38% من السعوديات يعدن إلى المخالفات بعد خروجهن من السجن تدل على عدم وجود بيئة حاضنة تحمي المرأة بعد خروجها من السجن. المشكلة أننا مجتمع يبحث عن أولاد وبنات معصومات، وهذا مستحيل، لأن تركيبة الرجل والمرأة قائمة على إمكانية الخطأ، وإذا كان الله تعالى يغفر الذنب، فلتغفروا يا معاشر المسلمين لبناتكم كما تغفرون لأولادكم، فجل من لا يخطئ.

أخيراً... نطقت المرأة السعودية

جدل دخول المرأة للإنترنت لم يتوقف! هل تدخل الإنترنت بمحرم أم من دون محرم؟! علماً أن المرأة السعودية أصبح الإنترنت بالنسبة لها هو الملاذ للهروب من الواقع المؤلم.

أستشهد بالدراسة التي أجرتها جامعة هارفارد الأمريكية، والتي كشفت أن نصف المدونين في السعودية من النساء، مشيرة إلى أن نسبة النساء اللاتي يمارسن الكتابة عبر الإنترنت في السعودية هي الأعلى مقارنة بالدول العربية الأخرى. وقالت الدراسة التي حظيت باهتمام الإعلام الغربي أخيراً، إن المدونات تفسح للنساء السعوديات فضاءً مثالياً لتقديم الأفكار الخاصة دون تعقيد وربط خيوط التواصل مع الآخرين دون حواجز. وأضافت: «يعتبر الإنترنت متنفساً بالنسبة لهؤلاء

النسوة ومَهرباً من القيود الاجتماعية، وسبيلاً فريداً لإشباع رغبة التعبير عن الذات».

حينما تعبر المرأة السعودية عن رأيها بالقضايا العامة في المجتمع بعد طول غياب أو تغييب فإن تعبيرها بحد ذاته يدخل ضمن النشاط الاجتماعي الإيجابي، بدلاً من لطم الخد وشقّ الجيب على الواقع من دون الإسهام في تغييره أو التأثير فيه، لأن «التغيير» ليس شيئاً مجرداً تخفيه الحكومة في مستودعاتها، وإنما هو ثمرة الإرادة الجماعية للمجتمع.

قيادة السيارة مثلاً ليس قراراً حكومياً فقط وإنما يدخل في إقراره المجتمع، كما عبّر عن ذلك الملك عبد الله نفسه، لهذا فإن مجرد تحدث المرأة في شؤونها تقدم مهم من أجل سماع رأيها في كل المسائل التي تخصها. لن أخوض في تساؤل إلحاقي مفاده: هل يعني هذا أن يتوقف دور الدولة اجتماعياً، حتى لا أطنب، وأبتعد عن الفكرة الرئيسية.

لطالما تحدث الرجال عن قضايا النساء، عن قيادتهن للسيارة، وعن عملهن خادمات في المنازل. هذه

قرارات بيد المرأة نفسها ويجب على المرأة أن لا تستسلم للرجل في قراراتها. الرجال الكتَّاب والنشطاء في مجالات الحقوق يتحدثون عن كل قضايا المرأة، لكن المرحلة الحالية هي مرحلة حديث المرأة عن نفسها، وهذا ما نستبشر به مع بروز المدونات السعوديات اللواتي يتحدثن عن همومهن وعن إرادتهن بلا وصاية من الرجال مهما بلغ مستوى حكمتهم!

إحراق الزواجات

هل تعرف مشكلة عائلية قريبة منك؟! كلنا نستمع باستمرار إلى أحداث مفجعة ومشاكل عائلية بين أقارب، وربما بين إخوة أشقاء، تخلّقوا في رحم واحد، ونموا على حليب ثدي واحد، ليتحولوا إلى أعداء، بسبب المال تارة، وبسبب النساء تارة أخرى. ولصغر العقول نصيب وافر في هذه المشاهد التي تهدد نسيج المجتمع.

وعلى الرغم من أننا ملأنا المحاضرات والكتابات عن نسب التفكك الأسري في الغرب، ومستوى الانحلال الأخلاقي عند بني الأصفر وبناتهم، إلا أننا نسينا التفكك الأسري في بلادنا، وكأننا نعيش في مجتمعات أفلاطونية. نسب الطلاق كثيرة، والمشاكل المالية تملأ الأجواء وحروب الإرث تحيط بالمجتمع من كل جانب... بعض النشطاء أسسوا لجاناً لإصلاح ذات البين وهي

مهمة وضرورية للحد من تطور المشاكل، لكن هذا لا يكفي. من المهم تأسيس مراكز متخصصة لعلاج المشكلات الاجتماعية، يخضع أعضاؤها لدورات ودراسات نفسية واجتماعية متعمقة هدفها الرئيس إصلاح ذات البين.

بعض أئمة الجوامع ورؤوس القبائل والعائلات يقومون بهذا الجهد المهم، لكنه جهد غير مدروس، وسرعان ما يتفكك وتعود «حليمة لعادتها القديمة»، لأن الإصلاح بين الزوج وزوجته أو بين الأخ ووالده أو بين الجار وجاره من أسباب ارتياح المجتمع وتلاؤمه. والنفوس المضطربة لا تصنع تميزاً، ولا تبني مجتمعاً طبيعياً.

ما أحوجنا للتأمل في الآيات والأحاديث الوافية التي حضَّت على صلة الرحم. فالبعض يسأل عن دم البعوضة في ورع أجوف، وهو هاجِرٌ لوالده أو والدته، إما لأن والده حالق لحيته أو لأن بيت أمه فيه دش! وقد جاء خبر إحراق الزوجة لخيمة زواج زوجها السابق في الكويت كالصدمة بخاصة لمجتمعات الخليج، حيث أفاق

الناس على وقع مجزرة مهولة لم يملكوا أمامها إلا العجب والتساؤل، كيف يبلغ الخلاف بين زوج ومطلقته هذا المستوى من التنافر والحقد؟! وما أجمل أن نقمع بذرة الحقد قبل أن تنمو، لأن في هذا صحة لأرواحنا وأبداننا وأخلاقنا، والحقد إن أهملته تضخم، والبذرة تغدو شجرة شوك مزعجة تحد من رؤيتك للأمور الجميلة حولك، هذا إن سلم لك منها بصر أو بصيرة، وأجمل بمعاني المقنع الكندي إذ قال:

وإنَّ الذي بيني وبينَ بني أبي
وبينَ بني قومي لمختلفٌ جدا
فإنْ يأكلوا لحمِيَ وفَرتُ لحومَهُمُ
وإنْ يهدموا مجدي بنَيْتُ لهم مجدا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهِمُ
وليسَ كريمَ القومِ منْ يحملُ الحِقدا

آباء... مجرمون

هل الأب دائماً مع مصلحة عائلته، وتحديداً مع مصالح بناته؟!

الآباء هم الذين كانوا يئدون بناتهم في العصر الجاهلي، من دون رأفةٍ أو رحمة.

اليوم، عقليات بعض الآباء في العالم العربي لا تختلف عن عقليات الأب القديم في العصر الجاهلي. مع أننا نعيش كل صرعات القرن الحادي والعشرين المعرفية والتقنية والعلمية.

كنا نستمع منذ الصغر إلى قصص الآباء الشرسين الذين يحولون بيوتهم إلى سجون منظّمة تضم ـ من بين ما تضم ـ أدوات للتعذيب والضرب والتنكيل. لكن لا نعرف إلى أين تلجأ تلك الأسر؟

نشرت الصحف السعودية أن محكمة خميس مشيط:

«تنظر في دعوى تقدمت بها ثلاث شقيقات ضد والدهن يتهمنه بعضلهن عن الزواج حتى تقدم بهن العمر. أصغرهن تبلغ حاليا 35 عاماً. وجاءت دعوى الشقيقات الثلاث ضد والدهن إلى المحكمة بعد استنفادهن جميع الوسائل التي ترغمه على تزويجهن، واستعنَّ بعدد من الأقارب والشخصيات البارزة في المنطقة، من مشايخ وعلماء دين وأعضاء من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلاّ أن والدهن ظل متمسكاً برأيه ورافضاً الرضوخ لتلك المطالب بحجة أنه أدرى بمصلحة بناته»!

قلتُ: إن الحملة الساذجة التي تقول ـ بكل إطلاق ـ إن وليّ أمري أدرى بأمري، هي حملة ناقصة من صلبها، إذ بعد مرور سنة على إطلاقها، ها هي آثار الرضوخ المطلق لدرجة طمس الذات مع ولي الأمر تجرّ كل الخيبات والكوارث.

ما هي الحكمة الخفيّة التي يتصف بها وليّ الأمر الذي يمنع تزويج بناته طمعاً في رواتبهنّ الزهيدة؟ إنه الحماس المفرط تجاه ترسيخ سلطة ولي الأمر من دون إدراك لعواقب ذلك.

إن تحقيق استقلالية المرأة هو الحل، لأن كل نفس بما كسبت رهينة. وفي القرآن: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: 13]؛ والمرأة إنسان قبل أن تكون أنثى.

رائعٌ فعل تلك البنات اللواتي دمر والدهنّ حياتهن، حين رفعن دعواهنّ ضده بداية لإحقاق العدالة. فأولياء الأمور ليسوا دائماً أدرى بالأمور. الغريب أن الصحيفة ذكرت أن سبب عضل الأب لهنّ هو طمعه في 890 ريالاً تصرف لكل واحدةٍ منهنّ من الضمان الاجتماعي!

مع مرور قرون مديدة على رحيل آخر عربي جاهلي، بقي ـ وبكل أسف ـ نسلهم الثقافي يتوالد باستمرار.

إن قيم التخلف والانحطاط والسلطات المطلقة التي أعطيت لأولياء الأمور دمرت حياة الكثيرين والكثيرات. وحينما تنقرض الحلول لا يبقى لدى الإنسان سوى القضاء. وأنعم به من حلّ، ففي العدالة راحة لنفوس الجميع.

«يا لطيف»
على الخصوصية في الطلاق

إضافة لافتة إلى عناصر خصوصيتنا، وتميزنا على بقية شعوب الأرض، وباقي خلق الله. إضافة جديدة، تسجل في قائمة عناصر التميز التي فضّلنا الله بها على العالمين.

صحيح أننا نتميز بالموضوع الأكبر، لكننا اليوم نبدع في التفاصيل. وفي التفاصيل عادة ما تكمن العقدة، وتبرز المشكلة، لكنها هنا... الميزة، والتفرد، والخصوصية...

عدُّوا معي، فبعد الواحد اثنان، والخمسون في المئة تعني النصف، لمن يحتاج إلى دروس خصوصية في الحساب والحسبة والاحتساب. ربما... كشفت دراسة سعودية أن 50% من حالات الطلاق في مكة المكرمة،

تقع قبل دخول منزل الزوجية، وأن هذه النسبة هي الأعلى، تليها حالات الطلاق بعد أول سنتين من الزواج.

سأبدأ بمصدر الخبر، وهي وكالة الـ «يو بي آي»، وهي من أهم الوكالات العالمية، على أني أعرف أن مصدر القدح فيها، أنها وكالة غربية، والغرب الكافر يريد أن يصدنا عن ديننا وتراثنا، وربما عن جمع رأسين بالحلال.

أنتقل للدراسة الواردة في الخبر، والتي أجراها فريق خبراء ومختصين لصالح لجنة التنمية الاجتماعية في مكة حيث ثبت أن أعلى حالات الطلاق تقع بالفسخ أو الخلع بين الزوجين قبل دخولهما إلى بيت الزوجية خاصةً بين الشباب، وذلك بنسبة تزيد عن 50% من حالات الطلاق بالمنطقة، يليها الطلاق بعد أول سنتين من الزواج.

ومع أن الطلاق قبل الدخول يشرخ ولا يكسر، إلاّ أن الشروخ بداية للكسور، والكسر لا يجبر كما الأصل عادة، ولذلك يقول الشاعر العربي:

إن القلوبَ إذا تفاقمَ ودُّهَا
مثلُ الزجاجةِ كسرُهَا لا يُجْبَرُ

فكيف بقلوب العذراوات؟! صحيح، لقد أحالها الطلاق ـ ولو قبل الدخول ـ ثيباً... معذرة على تعدد أخطائي! أعود للدراسة التي تتحدث عن حالات طلاق تصل إلى 62% في بعض محافظات المنطقة، بسبب صعوبات اقتصادية وعدم إدراك الشباب لمسؤوليات الزواج، لاسيما مع ظهور أنواع جديدة من الزيجات كالمسيار والمصياف. وهذه من معالم خصوصيتنا في التواصل مع الجنس اللطيف... لا أقول إلا... يا لطيف!

نعم للموت... لا للاختلاط

توفيت فتاة لأن حارس الأمن رفض دخول المسعفين إليها في مؤسستها التعليمية. وأقول إن أرواح الناس ليست لعبة بأيدي حراس الأمن وحارساته، أو بالعمداء والعميدات، أو بمديري العلاقات العامة الذين تم توظيفهم لتبرئة ساحة مديريهم. هي مهمة ليست حميدة أن ننفي كل سوء عن المؤسسات التي نعمل فيها لمجرد أننا مديرو علاقات عامة!

والحادثة بعيداً عن موقف المتنازعين على موطن الصواب والخطأ، تفتح الباب على مصراعيه للوقوف على أزمة فقه الأولويات في مجتمعنا، وهو ما يعاني من خلل في الترتيب. فالذين منعوا فريق المسعفين من الدخول إلى الجامعة قدَّروا أن دخول فريقٍ من المسعفين الرجال إلى جامعة مكتظة بالطالبات فيه من المفاسد، ما يزيد

على ترك طالبة مصابة، حتى يصل الألم بها إلى الموت!

إن الاحتقان الذي يعيشه مجتمعنا، والناتج من سجال التيارات المتصارعة حول المرأة خلق منها أولوية تزاحم الأولويات الحقيقية، مثل حرية الإنسان، والحفاظ على حياته، ومنحه حقه من الإسعافات في وقت مناسب. هذه أولوية قصوى لا تحتاج إلى مزايدة المسؤولين.

إنها ذات الإشكالية التي نشأت قبل بضع سنوات على خلفية حريق مدرسة بنات ابتدائية في مكة، وحينها قيل إن الدفاع المدني، مُنع من الدخول حتى لا يجد المسعفون الرجال أنفسهم بين فتيات المدرسة الابتدائية!

قد تبدو هذه القصص، أقرب ما تكون إلى رواية خيالية. لو سمعها شخص عادي خارج إطار مجتمعنا، لظن بالمتحدث أنه من ذوي الخيال الخصب في تأليف القصص والأحداث.

إن المشكلة في ما يظهر تكمن في عدم مراجعة الأولويات من وقت إلى آخر، وبخاصة أن تشكيل الأولويات متغير، حتى وإن كان بعضها من الثوابت

بطبيعة الحال، فما يمكن أن يكون اليوم ضمن أهم اهتماماتك، قد يتراجع في الغد إلى درجة متأخرة من القائمة.

وإذا قارنت الحادثة في الخبر بالحديث النبوي الشريف: «لأن تُهدم الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من أن يراق دم امرئ مسلم»، لعلمت أن قصة أن يرى الرجال المسعفون، وهم أناس يمارسون عملاً يجعلهم يغفلون عن تفاصيل لا يفطن لها إلا الفارغون، ولا يعتني بها إلا الذين ينسجون من الصغائر قضايا يفاصلون عليها، ويوالون عليها، ويعادون عليها. والأمر، والله أعلم، أصغر من ذلك كله، وأخطر من ذلك كله في نفس الوقت. آمل أن تبادر الجهات الأمنية إلى تشكيل لجنة للتحقيق في حادثة الفتاة. كما أتمنى ألا يسكت أولياء أمرها عن الحق في المطالبة بكشف المتسبب ومحاسبته. فإن من قتل مواطناً فكأنما قتل المواطنين جميعاً، كما أن من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً.

نساء يلعبن على الرجال

يتداول الناس منذ القدم أن المرأة هي عدوة جيب الرجل الأولى، وأن المرأة أعز أصدقاء الاستهلاك والإسراف. وأكثر زبائن الأسواق من النساء، وأن النساء يستهلكن الألبسة والأغطية والذهب وكل شيء.

لكن هذا الطرح مكانه الآن في «المتحف» لأن الأزمة العالمية أظهرت أن الرجال بلا شوارب، وأن النساء أكثر الناجيات من الأزمة الاقتصادية العالمية. بعض النساء اللواتي يقرأن المقالة الآن يمضغن «لبانهن» بسرعة وبطقطقة مسموعة رغبة في قراءة التحليل الذي بين يدي. في عدد من مجلة «فورن بوليسي»، المجلة الحائزة على الجائزة القومية للمجلات 2009. كتب عضو مؤسسة «نيو أمريكا» «ريحان سلام» ملفاً مطولاً بعنوان «زوال الرجولية المفرطة ـ حقبة الهيمنة

الذكورية تصل إلى نهايتها حقاً» وإليكم أبرز ما جاء فيه: «بعض علماء الاقتصاد وكاتبي المدونات الإلكترونية الأكثر إلماماً بالأزمة باتوا الآن يصفون الركود بـ «الركود الذكوري». فأكثر من 80% من الذين خسروا وظائفهم في الولايات المتحدة منذ نوفمبر (تشرين الثاني) هم من الرجال... القطاعات التي يسيطر عليها الرجال تقليدياً (البناء والصناعات الثقيلة) تنهار أكبر وأسرع من القطاعات التي تسيطر عليها النساء تقليدياً (وظائف القطاع العام والنظام الصحي والتعليم)... انتقال السلطة من الرجال إلى النساء من المرجح أن تسرعه الأزمة الاقتصادية إلى حد كبير، فيما يدرك المزيد من الناس أن السلوك العدائي والقائم على المخاطرة، الذي أتاح للرجال ترسيخ نفوذهم ـ ثقافة الرجولية المفرطة ـ مدمر وغير مستدام في عالم معولم». أيتها النسوة لقد تمسكنتن حتى تمكنتن، وقد أمسكتنّ بالرجال من جيوبهم، فكيف نجوتنّ من الأزمة الاقتصادية؟ ألستنّ من قلن إنكن مظلومات؟ وإن سيطرة «الثقافة الفحولية» هي الطاغية على المشهد الاجتماعي، والاقتصادي أيضاً؟ فأين هي سيطرة الذكورة وأغلب

الرجال في العالم يلطمون الخدود ويشقون الجيوب من آثار أزمة المال العالمية؟!

على الرجال الاستقالة من إدارة البيت والمال، فلا تصدكم الأثرة والنشوة عن إعطاء دفتر الشيكات والمحفظة للمرأة، لأن عصر الرجال ولى وراح، وجاء دور المرأة للكفاح، ومن ظنّ أن المرأة مظلومة فقد أبعد النجعة، ومن ظن أن المرأة غبية فقد ضل وأضل، وأحدث إبداعات وإنجازات. وانقلابات المرأة ضد الرجال حادثة الركود الاقتصادي وأزمة المال!

مطلقة... وليست ميتة!

أنت أخي القارئ كيف تنظر إلى «المطلقة»؟

كأني بك الآن تتخيلها مسكينة قابعة في بيت أهلها تئنّ من الوحدة ومن مظالم الناس. تظن أنها تتألم من سهام نظرات الناس الحادة، ورقابة البيت البوليسية، وإحساس البعض في البيت بأنها جلبت العار والشنار إلى شجرة العائلة السامقة!

تلك هي النظرة السائدة للمطلقات، وهي صحيحة في بعض جوانبها، لكننا نسينا أن من بين المطلقات نساء طموحات، جعلن من طلاقهن نقطة بداية لحياتهن ومستقبلهن، لا نقطة نهاية، صارت تجربة الطلاق تجربة حيوية مكّنتهنّ من التفكير بالمستقبل بجدية أكبر، هذا ما قرأته في تجربة المطلقة «أم خالد» التي أرسلت لي رسالة مليئة بالطموح، وإن كان الألم يختفي بين حروفها.

من ضمن ما قالته في الرسالة: «أنا مطلقة منذ سنوات وعمري 25 سنة ولديَّ طفل عمره 5 سنوات، أكملت دراستي حتى نلت الشهادة الجامعية، وحالياً أنوي دراسة الماجستير وأحقق أمنية حياتي «الابتعاث» والدراسة خارج الوطن والحصول على أعلى الشهادات. فالحصول على الماستر ـ مثلاً ـ من بريطانيا في تخصص مثل التسويق والمحاسبة وإدارة الأعمال، يستغرق مني سنة وتسعة أشهر على حد أقصى، بينما في كلياتنا الموقرة، يتطلب الحصول على الماجستير مدة لا تقل عن 4 سنوات. ولكن نظراً لأن ابني ليس له أوراق ثبوتية فلا أستطيع تسجيله في روضة حكومية، فما بالك باصطحابه إلى خارج المملكة! كما أنه لا يحق لي الزواج، فسيأخذه والده ـ المجهول بالنسبة له ـ إلى أقصى نقطة في المملكة دون أدنى اعتبار».

للأسف، فإن أغلبية من يطلقون زوجاتهم يتعاملون معهن كـ «عدوّات» فيبدأون بشن الحروب عليهن، هذا يحرمها من أوراق ثبوتية، وآخر يرفض تطليقها فتصبح كـ «المعلقة» مع أن جهات معنية يجب أن تتابع بشكل

أمني ومدني حالات المطلقات مع أزواجهن، لإجبار الأزواج على الامتثال للأنظمة إذا ما أرادوا التطليق.

يا أم خالد أتمنى من وزارة التعليم العالي أن تقرأ رسالتك هذه، وأن يقشعر بدن الوزارة لهذا الطموح الجميل.

الأجمل أن أم خالد لم تعتبر طلاقها نهاية حياتها بل بداية لحياة علمية وعملية، وإن استجابت وزارة التعليم العالي لطموح أم خالد هذا فإنها ستسنّ سنّة حسنة في تشجيع المطلقات على الخروج من ذكريات تجربة الزواج التي لم تكتمل.

العشيقة... الزوجة

من أهم الأخبار، في تقديري، هو زواج ولي عهد بريطانيا الأمير «تشارلز» من صديقته القديمة وعشيقته الأولى «كاميليا».

ودائماً ما تحل صورة زواج «تشارلز» بالأميرة «ديانا» زوجته السابقة وأم ولديه، التي ذهبت ضحية حادث مروري في نفق باريسي، مع صديقها العربي دودي الفايد، عند الحديث عن علاقة «تشارلز» و«كاميليا»!

لقد وُصِف زواج «تشارلز» بـ «ديانا»، بأنه زواج القرن، فقد كان زواجاً ملكياً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وقد كان الناس يتابعونه وقد لمعت في أعينهم مشاعر السعادة والغبطة لأمير اقترن بفاتنة تسلب الألباب، فتنة وجمالاً وحضوراً وتألقاً، هي الأميرة الأسطورية الراحلة «ديانا سبنسر».

ولئن كان زواج «تشارلز» في القرن الماضي من «ديانا»، هو زواج القرن، فإن زواجه من صديقته العجوز «كاميليا» في حضور ابنيه وابنها وابنتها، وقد تجاوز الأبناء الأربعة سن المراهقة أو أوشكوا، يمكن أن يصنف على أنه زواج الفُرن، لأنه جلب تعليقات ساخنة، ومشاعر ملتهبة، نقلت وكالات الأنباء صور بعضها، عندما حمل بعض الأوفياء للأميرة «ديانا» صورتها في الزواج الأخير، احتجاجاً على تفضيل «تشارلز» لـ «كاميليا»، رغم أنه لا مقومات في نظرهم لهذا التفضيل.

يرى البعض أن الحب أعمى، وإلا فما الذي أجبر الوريث المنتظر للعرش الملكي البريطاني، على أن يقترن بعجوز شمطاء مثل «كاميليا» مع كامل الاحترام والتقدير؟!

ويستند البعض لتسويق ما ذهب إليه أمير «ويلز» إلى ما جاء في التراث من أن: حبك الشيء يعمي ويصم.

ويضيفون، بأن التراث متشابه في الشرق والغرب، لكن العمى والصمم في كل الثقافات متطابق تماماً!

بعض المؤيدين للأمير وهم قلة، يرون أن «تشارلز»

ينتصر في النهاية للحب، ويقولون بأن الناس لا تهمهم إلا الصورة، والصورة التي تبدو للبعيدين جميلة خلَّابة، ليست بالضرورة لمن يعيشها كذلك، وإذا كانت العرب تقول: ليس راءٍ كمن سمع، فما بالك بمن عاش وعاشر ورأى!

صنف ثالث وقف على الحياد من القضية برمتها، لكنه لفت إلى عنصر اعتبره جديراً بالاهتمام والانتباه، وهو التساؤل الملِحُّ: إذا كان العم «تشارلز» يعرف الست «كاميليا» من قبل أن يقابل الفاتنة الراحلة «ديانا»، حتى أن بعض الأنباء تنسب الفضل في تعريف «تشارلز» بـ «ديانا» إلى «كاميليا» نفسها، وترى أنها هي التي قدمتهما للزواج ببعضهما بعضاً، واستمرت العلاقة بين العشيقين الهائمين على وجهيهما، تحت تأثير عمى الهوى وصمم المحبة، طوال فترة زواج الأمير بالأميرة، حتى دب اليأس في قلب «ديانا»، سقى الله عظامها، ودفعها إلى اليأس من زوجها اللعوب، والبحث عن ملاعب للهوى كما صرحت لـ «بي بي سي»، ثم تواصلت أواصر العشق حتى بعد وفاة «ديانا»، فما الذي يجعل العشيقين

يحرصان على تتويج علاقتهما بالزواج، وقد اشتعل الرأس شيباً؟!

والجواب بالتأكيد: هو أنهما أرادا بتنظيم حالة عشقهما التي استمرت عقوداً أن يكونا مثالاً لأجيال المحبين، وليؤكدا أن مؤسسة الزواج، هي نهاية المطاف لمراسيل الحب والهيام، وإن طال السفر.

هنيئاً للأمير «تشارلز» ولزوجته «كاميليا» بالزواج، ووداعاً لعشق امتد عشرات السنوات، وأهلاً بمشاكل الزوجية التي تغزو كل بيت وإن كان ملكياً!

من إصدارات مدارك Madarek




السيد علي الأمين
الأحزاب الدينية


السيد علي الأمين
ولاية الدولة
ودولة الفقيه


المرأة
والولاية العامة


حكاية اسمها
غازي القصيبي
أعدها
كمال عبد القادر


تشيع العوام
وتشيع الخواص
السيد أحمد القبانجي


صورة أوروبا
في
الأدب العربي الحديث
من طه حسين إلى الطيب صالح


كنا في إسرائيل
رحلات مصرية
منذ 1956 وحتى 2008


أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
1668 - 1995
الجزء الأول


أمريكا
في مرآة عربية
صورة أمريكا في أدب الرحلات العربي
ما بعد 11 سبتمبر 2001
الجزء الثاني


تركي الدخيل
إنما نحن... جوقة العميان


سلمان العودة
من السجن إلى التنوير
تركي الدخيل

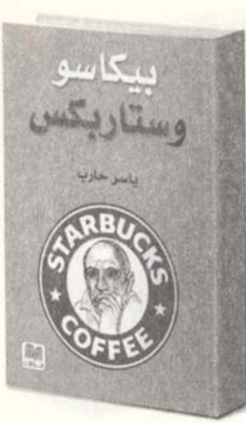

تركي الدخيل
الدنيا... امرأة!


تغطية العالم!
بدعة الإلزام بتغطية الوجه
أحمد السيد عطيف


نازح من جازان
مفاجآت التمرد الحوثي
على الحدود السعودية
هادي فقيهي


الدكتور أحمد اللويمي
المجتمع
الأحسائي المعاصر
قراءة في طباعه وأفكاره


عبدالله المغلوث
كخه
يا
بابا


بيكاسو
وستاربكس
ياسر حارب
STARBUCKS
COFFEE


خَارِجُ الطَّائِفَةِ
د. علي أحمد الديري


رشيد الخيّون
عمائم سُود
بـ
القصر السعودي
انطباعات شخصية عن نجد والحجاز


تلخيص البيان
في ذكر
فرق أهل الأديان


رشيد الخيّون
بَعد إذنِ الفَقيه
الحرام والحلال في أمر النساء
والطفولة والكتابة والطعام


رشيد الخيّون
لا إسلام بلا مذاهب
و
طروس أخر من التراث


رشيد الخيّون
ضد الطائفية
العراق... جدل ما بعد نيسان 2003


رشيد الخيّون
رسالة
في العلمانية والخلافة


رشيد الخيّون
جدلُ التنزيل
مع كتاب
خلق القرآن للجاحظ


رشيد الخيّون
مُعتَزِلة
البصرة وبغداد


الحب والفراق
إنه محمد عبده يماني


اعمدة الضحك السبعة
علي سالم


التطرف وثقافة السلام
علي سالم


الضحك في عز النكد
علي سالم
إذا كنت مسافراً خذني معك


علي سالم
بكالوريوس في حكم
الشعوب


اعترافات زوج
علي سالم


دلال...
رحلة ألم وأمل وفراق

«ماذا تفعل المرأة لإثبات نفسها في ظل تحكّم الواقع الذكوري بها؟ وماذا تفعل في ظل هيمنة ثقافة عربية ذكورية؟!».

«كانت المرأة في الثقافة العربية من سقط المتاع، توهب وتُعطى وتمنح».

«كان العربي يئد ابنته ويضعها بكل اطمئنان في حفرة مظلمة، ثم تنفض هي بكل حب التراب عن لحيته، قبل أن يمضي إلى بيته من دونها».

«إنها معركة مضحكة، للذين يتابعونها من الخارج، ومضحكة أيضاً لمجتمعنا في حال قرأها أبناؤنا وأحفادنا بعد سنوات... ستكون قصةً مسلّية تبدأ بـ (كان يا ما كان في قديم الزمان)».

بهذه الخطوط المتوجسة يطرح الكتاب قضية المرأة بهمومها وشجونها ويتنقل بك بين الموضوعات كل الموضوعات التي تفيض بها السجالات، مرة بأسلوب متهكم وساخر، بل وساخط على السائد، ومرةً بأسلوب قلق من عمق الجراحات المتروكة في جسد المفاهيم الخاطئة؛ وفي حمأة كل ذلك، نلمح -بين السطور- ظلاً أنيساً وساحراً لمخلوق رائع اسمه... «المرأة».

تركي الدخيل
www.turkid.net

ISBN 978-9953-566-25-2

مدارك Madarek
إبداع، نشر، ترجمة وتعريب
Creating, Publishing, Translating & Arabizing